الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

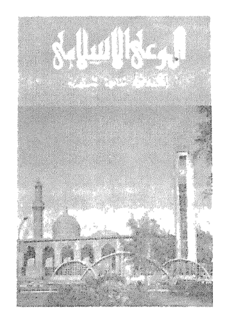
السنة الثالثة — العدد الرابع والثلاثون — غرة شوال سنة ١٣٨٧ هـ — اول يناير سنة ١٩٦٨ م





سمو الأمير المعظم يقابل بالبشاشة وبعاطفة الابوة جموع المواطنين الذين
وفدوا الى الديوان الأميرى لتهنئة سموه بحلول شهر رمضان المبارك .

صورة الغلاف



« صورة لمسـجد الامام الاعظم أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه بمنطقة الاعظمية فى بغداد »

تصوير « عزمت شيخ »

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الرابع والثلاثون

ـ السنة الثالثة ـ

غرة شوال سنة ١٣٨٧ هـ

اول يناير سنة ١٩٦٨

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسيـة

الثمن

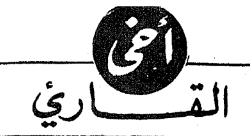
الكويت	٥٠ فلسـا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسـا
الاردن	٥٠ فلسـا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشـا
مصر والسودان	٤٠ مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويـت ١ دينـار
في الخليج ٢ دينـاران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسـا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميـة
ص. ب ١٣ هاتـف ٢٢٠٨٨
الكويـت



بسم الله الرحمن الرحيم

عيد !! باية حال عدت يا عيد ؟
وجواب السؤال نعرفه ونحسه ونعيش فيه .. والعيد يوم يعود لنا كل عام ، نستقبله بالبشر والسرور كما نستقبل المسافر الحبيب عندما يعود .. وهو كذلك في ظاهره للناس .. ولكنه قد يكون عند بعضهم مثيرا لذكريات مرة .. يلبس أهلها السواد ، ويعلوهم الاكتئاب ، وتتساقط دموعهم ، وتتفطر قلوبهم على عزيز فقدوه ، او عائل لهم لم يجدوه .. او حال طرأ عليهم لم يتعودوه ..
ولقد عشنا كثيرا من الأعياد .. كنا صغارا ننتظر قدومها ، لنفرح بها ، لا يهمنا الا لبس الجديد ، ومصروف العيد .. كنا نعيش باحساسنا الذاتى القاصر ، فلا يمتد خارج نفوسنا ، ولا يعنى بأمر غير امرنا .. ولربما كنا نفرح ونقفز هنا وهناك ، مزهوين بما نلبسه من جديد ، وما تعمر به جيوبنا من نقد غير معهود ، ومن حولنا من الكبار مهمومون بامورهم ، غارقون فى شجونهم !
حتى اذا كبرنا وفهمنا ، وادركنا مسئولياتنا ، ونما فينا الاحساس الجماعى ، تحول العيد فى نفوسنا من مظهر الى مخبر ، ومن مادة الى معنى ، واتسعت دائرته ، فلم تعد كما كانت شخصنا ، او حتى شخص المحيطين بنا من اهلنا ، او من جيراننا وسكان قريتنا ، بل امتد قطرها وترامت اطرافها ، حتى ضمت كل انسان جمعتنى به عقيدة ، او وصلنى به امل او الم ، وصرت كلما جاء العيد لا انظر الى ما البسه من الثياب ، ولا الى ما فى جيبى من المال .. ولكنى انظر الى من حولى ، ومن اتصل بهم احساسى وقلبى ، واعيش معهم فى يوم العيد ، قريبين كانوا أم بعيدين ..
هذا معنى ادركته ، وغذاه الاسلام فى نفسى وقواه ، حين علمنى ان المسلمين جسد واحد ، اذا اشتكى بعضه اشتكى كله .. فما مر على عيد الا تذكرت فيه المحرومين من مباهجه ، وشعرت — وانا ارى البعض منا يمرحون ، ويتيهون بما يملكون او بما يلبسون — ان الامة الاسلامية فى عيدها تلبس ثوبا مرقعا ، وتمشى بين الامم تتوكأ على عصا !!
فكيف اذن تشعر بالعيد ، وتحس الفرحة به كلما عاد ؟ !
ان الأسرة فينا حين تفقد عزيزا عليها ، ويمر على فقدانه شهور ، ياتى العيد فيذكرها به ، ويوقظ مصيبتها فيه ، ويجدد حزنها عليه . فتتحاشى مظاهر العيد السارة . وربما تهيأت لاستقبال المعزين فيه من جديد ..
بينما ترى أطفالها حولها يمرحون ، لا يشعرون بشىء مما يعانيه الكبار ..
ولقد كان اجدادنا العرب قديما — اذا أصيبوا بنكبة — يحرمون على انفسهم كل انواع المتع ، ويمضون أيامهم كلها يفكرون ، ويعملون للانتقام لانفسهم ، حتى تتهيأ لهم الفرصة ، فينقضوا على عدوهم ، ويأخذوا بثارهم ، ويستردوا مكانتهم .. وحينئذ يفرحون ، ويعوضون بفرحتهم فى أيام — بل فى لحظات — تلك الأيام الحزينة التى مرت بهم .
فكيف اذن نستقبل نحن العيد الآن ؟
ان طريقة استقبالنا له ، هى فى الحقيقة امتداد مضاعف لطريقة حياتنا الأيام والشهور قبله ، وكلاهما يعكس صورة تفاعلنا مع احداثنا ، ومدى

احساسنا بهذه الحوادث ، وتاثيرها على مجرى حياتنا .. ثم هى فى النهـاية تعبير صادق على ما وصلنا اليه من نضج ، وما حصـــلنا عليه من وعى ، وما نتخذه من مقاييس لتقييم حياتنا ، وما يعترضنا فيها من عقبات او نوازل .

ان اى انسان يمكن أن نزنه وزنا دقيقا بكيفية تلقيه لأحداثه ، وتصرفاته ازاءها .

فهناك من تفقده الأحداث صوابه ، ويصـــاب بصدمة يختل فيها توازنه ، فلا يعود صالحا للعيش فى تيار الحياة فيعزل عنها فى مصح ، يســـترد فيه اعصابه وتوازنه ، او يقضى عليه فيه ..

وهناك كذلك من تفقده الفرحة توازنه ، فلا يتصرف تصرف العقلاء ، ولكنه يشتط هناك وهناك ، وقد يكون مصيره كذلك الى المصح للعلاج .

وهناك عدا هذا وذاك ، انسان يعلو بعقله واتزانه وارادته على مستوى الأحداث ، فيملكها ولا تملكه ، ويسيرها ولا تسيره ، ويظل صاحب السيطرة عليها ، لا تذهب الصدمة بلبه وعقله ، ولا تطغيه الفرحة او تسوقه للاستهتار .

والأمم فى ذلك كالأفراد ..

فاذا كان الانسان الذى ينطلق بالضحك والقهقهة ، ويعنى بزينته ومباذله فى جو الحزن والكآبة . او اذا كان الانسان الذى ينفجر بالبـكاء والصراخ ، ويلتزم مظاهر الحداد فى جو الفرح والسرور ، اذا كان هذا أو ذاك انسانا شاذا غير متلائم مع طبيعة الأمور ، ولا مع منطقها ، وهو الى الجنون اقرب منه الى العقـــل ، فان الأمة التى تقيم الأفراح وتنصرف الى المـــلاهى ، وتعـكف على الملذات ، وهى مصابة فى سمعتها وكرامتها ورجولتها هى امة فاقدة الرشد ، مسلوبة الوعى ، وهى تمثل بموقفها هذا دور الصبى الذى فقد اباه ، وخيم على بيته جو الكآبة والحزن ، وملأه الصراخ والعويل ، فلم يدرك شيئا من ذلك ، بل انطلق الى لعبه واخذ يلعب بها ، ويجمع اقرانه كما كان يجمعهم كل يوم ، ليلهوا معا ويلعبوا ، ويجروا هنا وهناك وســـط الباكين والمعزين .. دون ان يدرك الصبى ما حل به ، وبمستقبله ومصيره بعد مصيبته فى ابيه !!

اخى .. هل نرضى لأنفسنا ان نكون امة على شاكلة هذا الطفل ؟

.. ثم هل تضيق ذرعا بهذه النغمة الجادة الحزينة فى يوم العيد ؟

لا يا أخى ، لا تضق .. فانت مسلم عربى لا ترضى الهون ، ولا تقعد بك همتك عن معالى الأمور ، ولا تقبل ان تظل حيا تلعق الصبر ، وتسمع من هنا وهناك شماتة الشامتين ، وتفاخر هؤلاء الأراذل الأفاكين . ولطالما تغنيت بقول شاعرنا :

عش عـــزيزا او مت وانت كـــريم تحت طعن القنـــا وخفق البنـــود

الا وان للكرامة ثمنها الغالى ، لا يدفعه فرد ، ولا دولة من دول المسلمين وحدها ، وانما يدفعه المســـلمون جميعا ، والعرب فى مقدمتهم بذلا وتضحية ، وهم ان صدقوا الله صدقهم ، وان نصروه اعزهم ..

ماذا يقول بعضنا لبعض فى يوم العيد ، وقلوبنا مجروحة . واخواننا فى العراء ، وارضنا محتلة ؟ !

تذكر هذا كله وانت تصافح اخاك ، وتذكر معه اســـلافا لك كانوا رجالا مؤمنين ، أشاد الله بهم ، وهو يقول عنهم :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليــــه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

وانتظر معى يوم عيدنا .



الاختبار الالهى

عن اسامة بن زيد (١) رضى الله عنهما قال : ارسلت ابنة (٢) النبى صلى الله عليه وسلم اليه ، ان ابنا لى قد قبض (٣) ، فارسل يقرىء السلام ويقول : ان لله ما اخذ وله ما أعطى ، وكل عنده باجل مسمى فلتصبر ولتحتسب (٤) فارسلت اليه تقسم عليه لياتينها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورجال (٥) فرفع (٦) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبى ونفسه تتقعقع (٧) قال (٨) ، حسبت انه قال ، كانها شن (٩) ففاضت عيناه ، فقال سعد : يا رسول الله : ما هذا ؟ (١٠) ، قال هذه الرحمة (١١) جعلها الله فى قلوب عباده ، فانما يرحم الله من عباده الرحماء (١٢) .
(رواه البخـــارى) (١٣)

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ الحياة الدنيا ممر ، والدار الآخرة مقر ، (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) ، والأيام تمضى بنا سراعا الى نهاية محتومة ، وكل راحل غير مقيم ، وسائر الى لحده طال به الزمان أم قصر ، وهذا من البدهيات التى لا تحتاج الى طول بحث واستقصاء وقد تكلم العلماء كثيرا عن الموت ، لأن من الناس من أهمتهم الحياة الدنيا فأخذوا يعملون لها عمل الخالدين ، ويستمسكون بها كأنهم لن يفارقوها ، ومثل هؤلاء تصدر عنهم فعال شائنة يربد لها وجه الانسانية ، تراهم يتكالبون على المتاع الزائل ، ويدخلون اليه من كل باب ، ولا يضيرهم أخالفوا قوانين الاخلاق أو وافقوها ، كما لا يهتمون باجابة داعى الله او مجاهرته العداء ، وقد لا يجدى معهم قول ولا ينفعهم توجيه ، يعادون ويصادقون ، ويتفقون ويختلفون حسب هواهم ومقتضى منفعتهم العاجلة ، أولئك الذين أصمهم الله

---

(١) هو الحب ابن الحب (هكذا كان يدعوه رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى المحبوب ابن المحبوب للنبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

(٢) اختلف الرواة فى تعيين اسمها رضى الله عنهن جميعا .

(٣) قد قبض : أى فى حالة مفارقة روحه للجسد وتسمى (حالة النزع) ولها علامات ودلائل يدركها بعض الناس ممن سبروها ، وان كانت تلك العلامات غير قطعية دائما ، ولم يكن الصبى قد فارق الحياة فعلا بدليل أنه جاد بنفسه بين يدى جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

(٤) ولتحتسب : أى تطلب ثواب صبرها من الله تعالى على مفارقة ولدها ، وهذا يجعل فى ميزان عملها الصالح يوم القيامة .

(٥) رجال : لم يسمهم الراوى ، اكتفاء بمن ذكروا منعا للتطويل ، أو لم يعرف أسماءهم جميعا فاكتفى بمن عرف .

(٦) فرفع اليه : وفى رواية أنه وضع فى حجره الشريف .

واعمى ابصارهم ، فلا مقال لنا معهم ولا حديث ، وانما هو الشرح والتوضيح (انما عليك البلاغ وعلينا الحساب) .

٢ — مرت بالشرق عصور اسىء فيها فهم دعوة الدين — والدين عند الله الاسلام — الى الايمان بالاخرة ، فتواكلوا ، وتوانوا وتخاذلوا حتى وهنوا وضعفوا ، وتلاشوا او كادوا واغتنم الفرصة السانحة غيرهم فوثب عليهم فى غفلة منهم ، واستولى على مقدراتهم ، بأساليب وطرائق تددا ، ولو انهم ادركوا الحقيقة — لا اقول المستترة — وانما الواضحة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ، وهى ان الايمان بما عند الله يستوجب الاهتمام بالعمل الدائب فى الأيام القصيرة التى يقضيها المرء على ظهر البسيطة ، فيجب أن يفنى فى الله ، ومعنى الفناء فى الله أن يؤمن بقضائه وقدره خيره وشره حلوه ومره ويعمل جاهدا آناء الليل واطراف النهار لخير الانسانية ، فيبحث ويدقق ويكشف ويبدى ويعيد حتى يصل الى بعض اسرار الكون الخافية ويجاهد وان لاقى فى الجهاد عنتا والما وشدة ، فكل عمل ، يقوم به نقيرا او قطميرا ، او يضيع لبنة فى بناء انسانية فاضلة يحتسب له عند الله ولا يضيع سدى ابدا (ان الله لا يضيع اجر من احسن عملا) .

والمؤمن بالآخرة حقا وبلقاء الله صدقا لا ينى ولا يتكاسل ولا يتقاعس عن خير ابدا ، يجعل حياته الدنيا كفاحا متواصلا وعملا جادا وسعيا حثيثا للوصول بالانسانية الى اسمى ما تصبو اليه فى الماديات والمعنويات فأولئك الكاشفون لأسرار الكون لهم عند الله اجر عظيم متى حسنت نياتهم وعملوا صالحا ، وتوضيحا لما اقصد اليه أضرب مثلا ، ولا مثل عندى ولا اسوة اعظم من المثل العليا التى رسم طريقها لنا اولوا العزم من الرسل ، فهم الصفوة والقدوة للانسانية التى يعز وجودها ، سلكوا كل دروب العمل فى ضنى والم وشدة ومشقة ولين حينا وعنف اخرى ، ليقودوا الناس قيادة حسنة صحيحة منظمة منتجة فعالة ، بتوجيه من العلى الكبير العزيز الحكيم ، يرجون ما عند الله واليوم الآخر ، ولا ننسى عقلاء البشرية والصفوة بعد الرسل ممن سلكوا طريقهم وانتهجوا نهجهم .

٣ — ويخطىء من يظن أن دعوة السماء دعوة اتكالية حين ترد عبارات متشابهة مشكلة لا يرقى الى حلها العقل القاصر الحادث المخلوق ، ولا هى دعوة متناهية بزمان أو مكان ، وانما هى دائما مستمرة ، وحامل المشعل جاد السير ، وحادى العيس لا يتوقف بابله فى صحراء الوجود ، ولا يتوانى حتى يدركه الظمأ ، ويلاحقه فناء القوت ،

---

(٧) تتقعقع : تتحرك وتضطرب ، وهى حشرجة الموت .

(٨) قال : اى الراوى عن زيد ، حسبت أنه قال ، اى اسامة .

(٩) كأنها شن : الشن يطلق عند العرب على القربة الخلقة (القديمة) اليابسة ، يحركها الريح أو محرك فتحدث صوتا معروفا ومن أمثالهم المعرونة (ما هذه التعقعة بالشنان ! ، وما هذه الوعوعة باللسان !) وتتخذ القرب من جلود بعض الحيوانات .

(١٠) ما هذا ؟ : يشير الى ما رآه من الدمع يترقرق فى عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد فاضت بالدمع عيناه الشريفتان .

(١١) هذه الرحمة : اى ان ما تراه اثر من آثار الرحمة وهى الرقة والقلب الحانى العطوف ، لا المعترض على قضاء الله وقدره .

(١٢) الرحماء : وفى رواية أخرى الراحمون يرحمهم الله ، والراحمون من فيهم اصل الرحمة ، لأن القساوة والفظاظة والغلظة صفات لا يحبها الله ، تبارك وتعالى .

(١٣) رواه البخارى فى باب (تعذيب الميت ببكاء أهله) .

وانما يسير حثيثا مهما لاقى من زوابع الصحراء ،وثورة رمالها وضياع معالم طريقه فيها ، والعاقل يردد دائما : ما دمت فانيا يوما ما فليكن فنائى فى صالح الانسانية وما دمت راحلا ولا مناص فليكن رحيلى فى اكمل صورة واقوى مسير ، ولهذا عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يحاولون ترك الحياة لغيرهم جبنا وضعفا ، وبين ما أعد الله لهم من السعير والنكال يوم القيامة .

هذا عالم يقضى ليله باحثا دارسا ناحصا فى الوجود حوله حتى يخرج على الملأ بأسرار من عجائب الكون مما اكنه الله فيه ، هل يستوى هو ومن يؤثر الراحة والدعة ، ومن ينام ملء جفنيه غير مبال ولا عابىء الا بمعدة امتلأت او خوت ، وشهوة ظمئت او ارتوت ، هل يستوى من يقضى على الآلام الحسية والمعنوية بالدلالة على ادوائها الناجعة وعلاجها الحاسم مع غر جاهل غلف لا يدرك ما يدور حوله ، مدعيا أنه ما دام فانيا فلا حاجة الى مقاساة البحث عن حلول المشاكل وطول العناء فى معالجتها .

الفاته لدعوة السماء فقها حقيقيا يجد ولا ينى ، لا يهن ولا يلين ، لا تزيده الشدة الا صبرا وجلدا ، يصقله الابتلاء صقلا عجيبا ، والرمح لا يستقيم الا بالنار .

والزاعبية لا يقيم كعوبها
الا الثقاف وجذوة تتوقد

فكلما ضاق الأمر اتسع ، وقديما قيل : (اشتدى ازمة تنفرجى) ، وكيف يميز الناس الخبيث من الطيب الا بالكوارث والنوازل ، لا يطير لهولها لب الحليم ، وانما يصمد الصنديد المؤمن الجاد المثابر ، تزيده الخطوب قوة على قوة ، والمشاهد فى العوامل الطبيعية والمظاهر الكونية البدائية ان الغبار يثور ويتطاير لانه خفيف ضعيف لا يستطيع الصمود لكر الريح الرخاء بله الصرصر العاتية .

كريشة فى مهب الريح طائرة
لا تستقر على حال من القلق

بينما الجبال الرواسى لا تنال منها الاعاصير الهوج ولا تزحزحها العواصف ولا القواصف .

٤ ــ لم اذهب بعيدا عن معنى الحديث الشريف ، فالحديث فى جملته يدعو الى الصبر عند الشدة والتسليم لله عند البلاء ، وليس معنى التسليم الالتزام ، وانما الصمود والسعى الى جولة جدية جديدة والباحث فى معمله أو مختبره كلما تعقدت معه بعض المواد أضاف اليها جديدا او خالف بينها حتى يصل منها الى ما يريد ، وقد لا يصل فيجىء سائر على دربه فيصل ، وهكذا الرقى فى مدارج الانسانية الكاملة ، واحيانا تضعف المواد موضع الدرس فتلين طبيعتها امام تصميم العالم المثابر ، فتبدى له من اسرارها ما لم يكن فى حسبانه ، وهذا ما كان مع كثير من العلماء المكتشفين ، بحثوا عن شىء يهدفون اليه راسا ، فانكشف القناع لهم عن ما هو اهم واجدى على الانسانية .

ولو أن من مات له ولد أو فارقه حبيب ، مات غما وفنى كمدا لأضاع الموجود فى غير طائل ، واهمل ما يستحق الاهتمام فى غير نتيجة ، ولو ان الأم تضت مع وليدها لهلك من بقى لها من ولد ، ولكن لو صبرت واحتسبت لأدركت أن من مضى مضى ولن يعود ، وأن من بقى بقى الى اجل لن يطول مهما طال ، وكل بقضاء الله وتقديره .

٥ ــ نخلص من كل هذا الى ان المصائب من أعظم دروس الحياة اختبارا للرجال ، فالقوى المؤمن لا يطيش عقله لنازلة ولا تهن قوته لحادثة لأن الحياة اخذ واعطاء ، وكفاح ونضال (ولله ما اخذ وله ما اعطى) وتلك اختبارات يفوز فيها المتماسك الجلد الصبور ، ويرسب الخوار الضعيف الواهن ،

وما من مشكلة الا ولها حل . ولا معضلة الا ولها من يزيلها ، ولو أن ريح الحياة أجرت رخاء دائما ، ما نما زرع ولا اثمر شجر ولا تفوق انسان ، ولتساوت الأقدار اقدار الرجال ولما عرف القاعد من المجاهد .

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال

والتاريخ يحدث ولا احب الى من تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، يحدث تاريخه الشريف انه كلما اشتد عليه قوم صمد وبحث فى المأزق عن مخرج مستعينا بربه متوكلا عليه ، حتى أرسى قواعد الخير ووضع أسس حضارة انارت الدنيا وانتجت حضارات يقف أمامها العلماء العقلاء مشدوهين ، يأخذهم العجب لرجل لم يدرس كما درسوا ولم يسلك مسالكهم التى سلكوا ، ولكن كان هذا لا مثيل له ولا ضريب فى ابناء آدم جميعا ، ولا عجب فقد علمه الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم .

٦ ــ بعد هذا : نجد فى الحديث الشريف اشياء واشياء ، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تلوذ به عند الشدة ولا شدة عند الأم كفقد وليدها وفلذة كبدها ، ونرى رسول الله يسلم الأمر لله ويدعوها الى الصبر والاحتساب ، ولكنها لا ترضى الا أن يحضر اليها أبوها رسول الله عليه أفضل الصلاة وازكى السلام ، ويبسر تسمها ، ويدخل عليها ومعه صفوة أصحابه رضى الله عنهم جميعا فترفع اليه وليدها وهو يجود بنفسه فى لحظة قاسية عند الأم يتأهب فيها ولدها لمفارقة دار الفناء الى دار البقاء وصوت نفسه تتقعقع كأنها تقول للحياة الدنيا وداعا كريما ، وتقول للآخرة مرحى مرحى ولقاء طيبا مباركا وينظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الأم والى الوليد فتفيض عيناه الشريفتان بالدمع ، دموع الرقة والرحمة والعطف والحنان ، ويرى ذلك صحابى جليل مؤمن لكنه مدرك لظاهر من القول وهو عن الخافى غافل ، يدرك نهى رسول الله الكريم عن البكاء ادراكا فجا بدائيا لا ادراك الداعى المستنير ، فيقول : بكى رسول الله وقد نهى عن البكاء ، ويجيء الجواب ، ليس هذا بكاء من يشق الجيوب ويلطم الخدود ويدعو بدعوى الجاهلية ، وانما هى الرحمة وتلك كلمة مدلولها فاق غاية الخفاء ، وان كان باديا واضحا للنفوس الكريمة الطيبة الطاهرة الزكية المتصلة بالرحمن الرحيم سبحانه ، ويخرج الجميع الى حيث يهال التراب على احب الناس الى احب الناس الى الله تعالى ، ويخلص الباحث الواعى من هذا الدرس بنتائج طيبة تخدم الانسانية ، وتنير لها دروب الحياة المعتمة القاسية ، يخلص الى أن الحياة الدنيا حافلة بالاختبارات الالهية ، وان عدة النجاح فيها الصبر وهو صبر مأجور عليه اذا احتسب عند الله زادت آثاره الطيبة فى الدنيا والآخرة ، ويدرك أن المصائب مهما اشتدت فلا تلين لها قناة المؤمن بالله ولا يهتز أمام بلواتها عوده ، وانما يجابهها بصدر رحب وراس عالية وفكر ثاقب ، ويبحث فى الخلاص منها والتغلب عليها ، وبهذا ينشأ جيل مكافح مناضل لا تزيده الرزايا الا قوة ، ولا تمنحه البلايا الا ايدا وعنفا فى مواجهتها ، والعود لا يظهر طيبه الا بالنار المحرقة (١) ، (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) صدق الله العظيم .

---

(١) اكتب هذا بمناسبة كارثة الحرب الأخيرة مساهما ــ جهد المقل ــ مع الداعين الى البناء القوى الفعال ، وترك الخور والضعف والتثبيط والتواكل ، فعند الشدائد تظهر اقدار الرجال ، والله مع العاملين ولن يترهم اعمالهم والحرب دائما سجال . ومن ظن من يلاقى الحروب بأن لن يصاب فقد ظن جهلا .



٨) نطاق العقـل .

ومن ركائز التفكير الاسلامى الراسية على أصول القرآن ، التفريـق في الادراك ، بين عالم الغيب وعالم الشهادة . وهذا نفس ما عرفته الفلسفـة ، واوضحه (كانط) . فهنالك نوعان من الادراك للموجـودات . ادراك لكنـه الشىء بذاته . وادراك لوجوده بالدليل ، مع العجز المطلـق عن ادراك كنـه ذاته . فالعقل البشرى قد يستطيع ادراك كنه الشىء بذاته ، الى حد ما ، ضمن نطاق محدود ، وهو نطاق العالم المادي المحسوس (عالم الشهادة) أما في عالم الغيب غير المحسوس ، فالعقل يستطيع ادراك وجود الشىء بالاستدلال ويسـتطيع ادراك بعض صفاته من آثار ، ولكنه يعجز عن ادراك كنه ذاته . هذا مقرر لا يحتمل الجدل . وبهذا الادراك نستدل على وجود الله ، وعلى بعض صفات كماله ، من آثاره ، بدون أن نستطيع ادراك كنه ذاته .

٩) التصور والتعقل .

ومن ركائز التفكير الاسلامى الذى ينبع من أصول القرآن أن نفرق بـين التعقل والتصور . وهكذا يقول العلم ، وهكذا تقول الفلسفة الصحيحة . فليس كل ما يمكن تعقله يمكن تصوره . لأننا قد نعقل وجود الشىء بالدليل ، ولكـن لا نستطيع أن نتصوره . وليس عجزنا عن تصور الشىء الذى تعقلناه مبـررا للقول بعدم وجوده . أترانا نستطيع أن نتصور أن ورقة من ورق السجايـر الرقيق ، الرقيق ، اذا قطعت بالتضعيف ٤٥ مرة (١) ثم ركمت صعودا فانها تصل القمر . . ؟ ولكننا بالحساب البسيط يمكن أن نتعقله .

---

(١) أي مرتين ، فأربعة ، فثمانية ، فستة عشر ، فاثنتين وثلاثين فأربعة وستين وهكذا .

كان احد أساتذة الفلسفة في جامعة كبرى كتب يتساءل ــ كالمنكر ــ عن بعض آيات القرآن الكريم ، ثم يدعي ان التفكير الاسلامي المعاصر مشدود الى الوراء شدا يمنعه من الانطلاق في آفاق العلم والمعرفة . فاجابه الشيخ نديم الجسر بجواب اوضح فيه ركائز التفكير الاسلامي القائم على (الحق) في باب العقل والعلم ، توضيحا امتاز به فضيلة الشيخ في مخاطبة الشباب والعلماء المتفلسفين بلغة العلم والفلسفة نفسها ، وقد رأينا ــ تقديرا منا لهذا البحث ان نضعه بين أيدي القراء الكرام وبخاصة الشباب منهم .

وقد قدمنا لك القسط الاول من هذا البحث في عدد شعبان ونقدم لك الآن بقيته .

الوعي الاسلامي

وموقف القرآن من العلم والمعرفة

للشيخ نديم الجسر
مفتي طرابلس ــ لبنان

واذا القى الينا من المجرة مثلا جهاز تلفزيون افلا نستدل به على وجود صانع ، ثم نستدل به على بعض صفات ذلك الصانع ، التي منها أنه عاقل وذكي وعالم ؟ ولكننا مع تعقل وجوده ، وتعقل بعض صفاته ، لا نستطيع تصور كنه ذاته ، لأننا لم نشاهده ولم نحسه ، ولكن هل يصح ، في حكم العقل ، ان ننكر وجوده ، لأننا لا نستطيع تصور كنه ذاته ، بعد أن تعقلنا وجوده وبعض صفاته بالدليل العقلي القاطع ؟

١٠) غايات الأشياء .

ومن ركائز التفكير الاسلامي الراسية على اصول القرآن كذلك اننا محجوبون عن ادراك كل بدايات الأشياء ونهاياتها . هذا مقرر . وهكذا خلقت عقولنا . بل هكذا خلقت حواسنا ، حتى في عالم المادة الذى نعيش فيه ، كما يقول (باسكال) . فالصوت اذا أفرط في الشدة يصم اسماعنا ، أو على الأصح لا نسمعه ، والنور اذا افرط في الشدة يغشى أبصارنا ، بل يصعقنا كما صعق موسى ، والقرب يمنعنا من الرؤية اذا أفرط ، كما يمنعنا البعد . هذا هكذا في عالم الشهادة ، فكيف اذا كان الأمر الذى نريد معرفة أولياته وبداياته ونهاياته وغاياته من عالم الغيب ..؟

١١) الظن والحق .

ومن ركائز التفكير الاسلامي (ان الظن لا يغني من الحق شيئا (١) وهذا هو نفسه منطق العقل في اثبات الشيء ونفيه . هنالك فرق كبير

(١) سورة يونس آية ٢٨ .

عند القطع والجزم ، بين الاثبات والنفى . فنحن نجزم بثبوت الشىء الذى يقوم الدليل العقلى أو العلمى القاطع على وجوده . ولكن لا يحق لنا أن نجزم بنفى الشىء أو الخبر الذى لم يقم لدينا الدليل على وجوده . الا اذا كان تصور وجود هذا الشىء ، أو هذا الخبر ، يشكل تناقضا عقليا في الذهن ، كما يقول لايبنتز) .
اما اذا لم يكن الامر كذلك ، وكان الشىء او الخبر من النوع الممكن ، فاننا نقف أمامه موقفنا من كل ممكن غير مستحيل ، فلا نقطع بثبوته عقلا ، ولا نقطع بنفيه عقلا .

١٢) نواميس الله لا تتخلف

(ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) (١)
وكذلك يقول العلم ان النواميس الكونية ثابتة ولا تتعطل ولا تتخلف . ولكن الانسان يستطيع أن يوقف تأثير ناموس بناموس آخر . ولا يقال هنا ان الانسان عطل فعل الله ، أو عطل خلق الله . ولكن يقال : ان ناموس الله تعطل بناموس الله ، كما في تأخير نمو الخلية الانسانية في الجنين ، أو افسادها ، أو تشويهها بالمواد الكيماوية ، أو بالأشعة ، كما ذكرت في سؤالك .
هذه اهم الركائز في التفكير الاسلامى النابع من معين القرآن ، وهى تكاد تكون كالبديهيات في منطق العقل ، ومنطق العلم ، ومنطق القرآن . وهى الكفيلة بالرد على كل التساؤلات والشكوك والصعوبات التى أثيرت ، وبالرد على كل صعوبة يجدها الشاب الثقيف في بعض آيات القرآن ، حتى يفهمها ، أو يكف عن تكذيبها على الأقل . ويكفى الشاب الثقيف اذا كان يسأل للاستفهام حقا ، لا للجدل والمراء (بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) يكفى أن يعرض شكه على هذه الركائز ، وينعم النظر فيها ، ليجد الجواب الذى يرضاه العقل السليم ، والمنطق القويم ، والقرآن الكريم .

في الرد بايجاز على تساؤلاتك

أ ــ أما تساؤلك عن موقف المسلم من الثقافة والحضارة المعاصرة ، والانقلاب العلمى ، والثورة الصناعية ، وكتاب (دارون) في أصل الأنواع ، ومؤلف (ماركس) في (رأس المال) ، ونظرية (آنشتاين) في (النسبية) ، فانك تجد جوابه في الركائز الثلاث الأولى التى أوضحنا فيها أن القرآن يقدس العقل والعلم والحرية . ولن يكون موقف المسلم ، من هذه المستجدات التى ذكرتها ، الا كموقف كل انسان ذى عقل سليم . يدركها ويفهمها ، ويأخذ منها بكل ما يتلاءم مع الحق والخير على أساس مفهوم الحرية في الاسلام .
أما مذهب (دارون) فقد بينا فى كتابنا (قصة الايمان) (٢) ، نقلا عن (الرسالة الحميدية) انه عند ثبوته الثبوت القاطع ، لا يتنافى مع القرآن .
وأما نظرية (انشتاين) في النسبية فقد بينا في قصة الايمان ايضا انها لا تتعارض مع القرآن في شىء ، لأن القرآن يؤيد كل ما هو حق في باب العقل والعلم .
ب ــ وأما تساؤلك عن خلق آدم من طين فتجد جوابه في كلامنا عن مذهب (دارون) في نفس الكتاب ...
ومثله سؤالك عن المعجزات ، فانك تجد جوابه في الركائز (٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١) . ــ فالمعجزات التى قد ورد ذكرها في كل الكتب السماوية لا في

---

(١) سورة آية ٤٣ .
(٢) من أحسن ما كتب لهداية النفوس الى خالقها ولعلنا نستطيع فى المستقبل تقديم عرض لهذا الكتاب القيم الى القراء ..

القرآن وحده ، ما هي في الحقيقة الا خرق للناموس من قبل الله . فاذا كنا نؤمن بأن الله هو خالق الكون وخالق نواميسه ، فبداهة العقل تحكم بأن الذى خلق الناموس قادر على خرقه . والقول بنفى هذه القدرة هو الـــذى يشكل تناقضا عقليــــا .

وكذلك سؤالك عن الملائكة والجن ، فانك تجد جوابه في الركائز الخمس المذكورات . لقد كان تصور الملائكة والجن ـــ لعمرى ـــ أكثر صعوبـــة قبـــل اكتشاف نواميس الضوء ... اما اليوم ، بعد معرفة أمواج الضوء وانواعها من المنظورة وغير المنظورة ، وسلالمها الكثيرة التى يقع العالم المنظور في سلــــم واحد منها فقط ، فقد أصبح من قبيل التعنت والمراء أن نقف من الملائكة والجن موقف الانكار .

والخلاصة أن هذه الأمور الغيبية كلها ، من خلق آدم ، وخرق النواميس ووجود الملائكة والجن انما يقع تصديقها أو تكذيبها تحت تمحيص مبدأ التناقض الذى ذكرناه في الركيزة (٧) وبما أنها من النوع الممكن ، ولا يحـــدث تصـــور حدوثها أو وجودها (تناقضا عقليـــا في الذهن) ، فـــلا مجال للجزم والقطـــع بتكذيبها .

جـ ـــ وأما تساؤلك عن الآية الواردة في سورة (المؤمنون) التى تتعلـــق بخلق الانسان من نطفة وعلقة ومضغة .. وقولك عنها أن ظاهرها يفيد الخلق الدفعى المباشر ، وان هذا يتنافى مع علم الأجنة ، وما ثبت فيه من تطور الخلية الانسانية ، وتحيرك في كيفية التوفيق بين خلق الله المباشـــر المتكرر للنطفــــة فالعلقة فالمضغة فالجنين في أطواره المذكورة ، وبين كوننا نستطيع أن نتحكم في نمو الخلية ، ونستطيع تأخيره أو تشويهها ، ونكون بالتالى المعطلين لعمل الله في الخلق ، فانك لتجد جوابه في الركيزة (١٢) ، وفي كـــلامنا عن خلـــق آدم ومذهب (دارون) ، وقولنا فيه ، ان الخلق يمكن أن يكون بالطريق التدريجـــى التطورى ، على مقتضى نواميس وقوانين وضعها الله في الكون . واحسب أن علم الأجنة مما يؤيد هذا الخلق التطورى ، ويقدم عنه مثالا محسوسا ، وان كان الخلقان يقعان تحت قدرة الله ، وليس أحدهما أدل على القدرة من الآخر .

وأما تعجبك مما يعطيه ظاهر الآية من معنى الخلق المباشر المتكرر ، فتجد جوابه في الركيزة (٥) التى بينا فيها أن نهج القرآن في مخاطبة الناس انما يكون على قدر أفهامهم ومعارفهم وما كان لله العليم الحكيم ، الذى هو الخالـــق فـــى الحقيقة على كل حال ، ان يحير الناس ، في عهد نزول القرآن ، بذكر تفاصيل الخلق عن طريق الخلية ، ونموها التطورى بقوة النواميس التى وضعها اللـــه في الكون ، وهم لا يفهمون معنى الخلية ، ولا معنى النامـــوس ، ولا معنـــى التطور . وهذا ما قلنا عنه أنه من اعجاز القرآن ، حين يعبر عن المعنى بعبارة يفهمها البدوى الأمى على ظاهرها ، ويفهمها العالـــم الفيلســـوف في أعمـــاق أسرارها .

وآخر الأجوبة عن أمر الخلية هذه تجده في الركيزة (١٢) التى قلنا فيها : ان نواميس الله لا تتخلف ، ولكن يمكن توقيف أثرها بتسليـــط ناموس علـــى ناموس . فنحن عندما نتحكم في نمو الخلية أو افسادها أو تشويهها لا يقال : اننا عطلنا عملية الخلق التى يقوم بها الله بيده ، ولكن يقال : ان أحد نواميس الله قد توقف بأحد نواميس الله ، طبقا لما أراد الله في الناموسين أن يتفاعلا ، وطبقا لما أراد الله للانسان من التصرف في استعمال النواميس ، والانتفاع بها ، وطبقا لما قدره الله في عمله الازلى ، من خلق الجنين ، أو عدم خلقه . وهذا أظهر من أن يحتاج الى جدل .

د ـــ وأما كلامك عن مخالفة الله لجميع الأشياء ، وعن قول القرآن عـــن

الله (ليس كمثله شيء) وقولك انت عنه في آخر الكلام عن لسان المسلم (كيف اومن بكائن يقال لى : انه فى الحقيقة لا يوصف ؟ وهل يكون ذهني خاليا من كل معنى او تصور حينما اصفه بالعدل والرحمة مثلا ؟ الا يكون عندئذ وجود مثل هذا الاله او عدم وجوده سيين بالنسبة الى) .

فانى اسألك ، في جوابه . ما لك يا دكتور ...؟

انه ليبدو انك تكاد تضع المشكلة في طريق مسدود ... او تكاد تطلقها (الى ظل ذى ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغنى من اللهب) . .فاما ان تنكر وجود الله .. واما ان تقول بالتجسيد للاله .. واما ان تقول بوحدة الوجود .. وما احسبك تريد شيئا من هذا .

ثم . هل القرآن وحده قال بهذا التنزيه لله عن مشابهة الحوادث ، ام اجمعت عليه كل الكتب السماوية المنزلة الصحيحة ، كما اجمع عليه كل الفلاسفة الالهيون ؟

الا تذكر ما قلناه في الركيزة (التاسعة) عن الفرق بين التعقل والتصور ، وان ليس كل ما يمكن تعقله بالدليل القاطع يمكن تصوره ؟.. ثم ، الا تذكر ما قلناه في الركيزة الثامنة عن عجز عقولنا عن ادراك كنه الشيء بذاته الا في المحسوسات ؟ ثم . من الذى زعم ان القرآن قال عن الله بأنه لا يوصف ؟ أمثلك يقول هذا، والقرآن مملوء بصفات كمال الله سبحانه ؟ ولو لم ترد صفات كمال الله في القرآن السنا نستطيع أن نعرفها من آثاره ...؟ الم يعرفها (ديكارت) بعقله لما رجع عن شكه ، واستنتج من وجود نفسه ، وجود ربه وخالقه ، ثم استنتج من آثاره اكثر صفات كماله (١) ؟

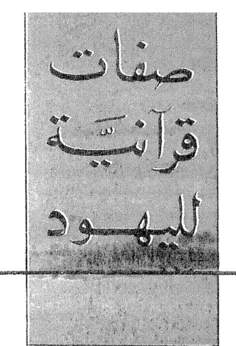
هـ ــ واما قولك (انه يفترض في المسلم ان يعتقد بايمانه وقلبه لا بعقله وذهنه) فغير صحيح . بل عكسه هو الصحيح . فليس في الاسلام ايمان قلبي روحانى يكتفى بالتخيل او الالهام أو التلقين او التقليد ، دون أن يعتمد على أدلة العقل اذا نضج العقل ، وبدأ بالتفكير ، أما الذى يسمونه (ايمان العجائز) فانه ليس بالايمان الكامل الذى يقف على رجليه اذا عصفت زوابع الشك وأعاصير الشبهات . ولكنه يقبل من العجائز والعاجزين عن الاستدلال العقلى ، من باب رفع الحرج والتكليف بالوسع ، وهما من اهم وأحكم مبادىء القرآن . بل ان هذا الايمان العجائزى ، (الذى نحسبه قلبيا روحانيا الهاميا تلقينيا تقليديا) ينبع ، في الحقيقة ، من العقل الباطن الذى تكمن فيه ــ من غير شعور منا ــ أدلة العقل ، بالفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ومن بعضها قانون العلية الذى يتطلب العقل فيه لكل معلول علة ، ولكل مسبب سببا .

ولو اكتفى ايمان الاسلام بأن يكون من الظن والخيال والالهام والتلقين والتقليد ، لما كان يختلف ، في هذا عن ايمان المشركين وعبدة الأوثان !!. ان ايمان الاسلام هو ايمان الحق واليقين ، لا ايمان الظن والخيال (وان الظن لا يغنى من الحق شيئا) واذا كان ايمان المسلم يقع اخيرا ، في القلب والضمير ، فانما ينحدر اليهما من قمة العقل ، طاهرا من أدران الظنون والأوهام ، بعد أن يمر بمصفاة العقل السليم ، ويصبح صالحا لمقاومة الشكوك والشبهات ، كالدم الذى يرده القلب الى حيث يصفى من سمومه ، ليصبح قويا وصالحا لمقاومة الجراثيم ... هذا هكذا . ومن ظن ان في الاسلام ايمانا كاملا غير هذا الايمان العقلى البرهانى اليقينى ، فانه يشوه معنى الايمان بالله ، الذى يمتاز به دين الاسلام عن الوثنية المشركة بكل اشكالها .

---

(١) فليس معنى الآية كما فهم الدكتور انه لا يوصف بالعدل ولا بالرحمة . بل انه يوصف بهما ولكن علي أن نعلم أن الصفات التي يوصف بها غير صفاتنا نفسها التي نوصف بها .

« السبوعي »



عبر التاريخ

الأستاذ : صلاح عزام

ولنحاول ان نتعمق فى التاريخ لنتعرف على متابعة اليهود للدين الاسلامى حتى نستطيع ان نحكم على هذه الطائفة .. فى وضوح .. وعدل .. وعلى الدوام .. ومن خلال حياتهم عبر العصور لا من خلال فترة ما بعد البروتوكلات .. وفقط ..

لقد اثبتت الوثائق العلمية أن اليهود ترقبوا الدين الاسلامى .. ومطلع الدعوة المحمدية .. حتى انهم تركوا الأرض .. واتجهت عناصرهم المفكرة والرئيسية الى الصحراء القاحلة فى المدينة ، وبالقرب من مكة .. وزعموا انهم جاءوا الى هذه المنطقة .. تاركين خلفهم الأرض السهلة والبلاد الخصبة .. انتظارا لنبى سيظهر فى هذه الأرض .. فيتبعونه لأن كتبهم تنبئهم بذلك ..

قالوا هذا لقبائل العرب .. فتركوهم وشأنهم اذ انهم اهل ايمان بالله .. والعرب قوم وثنيون ..

ولكن اليهود .. بعد ان استقر بهم الأمر .. بدءوا يقيمون الحصون .. ويوسعون فى رقعة أرضهم .. ويعملون فيما لا يعمله العرب ، ويكونون الثروات ، ويتدربون على القتال واستعمال الأسلحة من داخلها ..

ولما اثار هذا شك العرب .. واستفسروا عنه . خاصة وأن احدا لم يحتك بهم ، أو يحاول الاعتداء عليهم .. كانوا يجيبون بما لا يضمرون ..

اما الحقيقة .. فهى ملاقاة محمد ورسالته .. وحتى يمثلوا مع النبى دورهم مع المسيح .. يقاتلونه .. ويشرعون فى قتله ان استطاعوا .. لكيلا ينتشر دينه ، وليخلو لهم الجو مع الدين الجديد يصارعونه ويقتلون قادته ، ثم يقضون عليه تماما .. لأن الاسلام دين آخر .. يختلف عنهم .. وعن المسيحية وفى انتشاره وتعمقه فى النفوس .. قضاء على ما سواه ..

هكذا كانوا يفكرون .. ومن اجل هذا كانوا يعملون ويستعدون ..

ولم يتبع اليهود النبى .. ولم يؤمنوا بالاسلام .. وانما كانوا حربا عليه من اللحظة الأولى .. ودهش العرب لهذا الموقف .. حتى ليقول سعيد بن جبير عن ابن عباس ان يهودا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بنى سلمة : يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا انه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته . فوقف سلام بن مشكم أحد بني النضير يرد عليه في سفسطة . وانتهى الأمر بهم من غير طائل ، حتى ليقول القرآن فى ذلك « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين .. »

وانتشر الاسلام ..

وقويت جماعة المسلمين ..

وتحرك اليهود يكشفون عن نياتهم .. ومؤامراتهم .. ويواجهون المسلمين فى وضوح وصراحة بالعداء .. ويؤلبون عليهم العرب .. وينضمون اليهم فى قتالهم للمسلمين ..

وفى القرآن الكريم .. وصف لخطى هذه المؤامرة العريضة ورصد دقيق لنفسياتهم ، تنبيها للمسلمين على مر الزمان لهذه الفئة .. وتحذيرا لهم منها .

ومن خلال المرور العاجل لوصف القرآن لهم ، تبرز بعض جوانب مؤامرة اليهود ضد المسلمين الأول وقد قضى الله سبحانه وتعالى على هؤلاء اليهود فى حروب المسلمين معهم سواء مع بنى قينقاع ، أو بنى النضير ، أو بنى قريظة ، واخيرا فى خيبر .. وانتهت جميعها بنصر الله لدينه ، والقضاء على قوة اليهود .. وبتبعيتهم للمسلمين .. وبقيت لليهود صفاتهم كما قلنا تعريفا كاملا وواضحا للمسلمين بصفات خصومهم الألداء وطبائعهم « لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود .. »

ومن هذا المنطلق والوضع .. تجد صفات اليهود التى يحذر القرآن المسلمين منها ويعلمهم اياها .

فمن هذه الصفات الكثيرة التى ذكرها لنا القرآن الكريم :

مغرورون

انهم مغرورون .. فقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة الى حيث يتعبد اليهود ويتدارسون كتابهم ، ودعاهم النبى الى الاسلام فصمتوا ، ولم يتحدث واحد منهم ، ثم بدد الصمت النعمان بن عمرو ، والحارث بن زبير اثنان من احبار اليهود ليسألا سؤالا غريبا : (على أى دين انت يا محمد ؟)

فيقول لهم الرسول (على ملة ابراهيم ودينه ..) .

فيجيبان : (ان ابراهيم كان يهوديا ..)

فيسألهما النبى عن اى سند لهما فيما يقولان ، وعمن تعلماه ، واين وجداه ؟ فيجيبان أنهما يجدانه فى كتابهما المقدس ، فيرد عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهلم الى التوراة فهى بيننا وبينكم ..) فرفضا .. لينتهى هذا اللقاء كما بدأ من غير طائل .. ولينزل قول الله تعالى « الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون . ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون .. » .

و .. سفهاء

ويصفهم القرآن مرة اخرى بأنهم سفهاء اذ عندما استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء نبيه وتحولت القبلة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام .. صعق اليهود ، وسارع وفد من أحبار اليهود الى لقاء النبى صلى الله عليه وسلم ليساوموه على ان يعود الى القبلة الاولى ، وهم يدخلون فى الدين الاسلامى .. وظلوا يساومون النبى .. والنبى يقول لهم : أن هذا هو امر الله .. ولا يملك هو الا اطاعته .. ولم يقتنعوا ولم ييأسوا ، وانصرفوا غاضبين متهورين ، لينزل فيهم قول الله تعالى « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم » .

واتباع شياطين

واشمل الأوصاف .. من بين اوصاف عديدة يذكرها القرآن الكريم لليهود .. انهم اتباع شياطين .. وكان هذا اثر محاورة مع النبى صلى الله عليه وسلم يذكرها عبد الله بن عبد الرحمن عن شهر بن حوشب الاشعرى فيقول : ان نفرا من احبار اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد أخبرنا عن اربع نسألك عنها ، فان فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك وآمنا بك . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن انا اخبرتكم بذلك لتصدقنى . قالوا : نعم . قال : فاسألوا عما بداكم .

قالوا : فاخبرنا كيف يشبه الولد امه . وانما النطفة من الرجل .
قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المراة صفراء رقيقة فأيتهما علت صاحبتها كان لها الشبه .

قالوا : اللهم نعم . .

قالوا : فاخبرنا كيف نومك ؟

فقال : انشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل هل تعلمون أن نوم الذى تزعمون انى لست به تنام عينه وقلبه يقظان .

فقالوا : اللهم نعم . .

قال : فكذلك تنام عينى وقلبى يقظان .

قالوا : فاخبرنا عما حرم اسرائيل على نفسه . .

قال : انشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل . . هل تعلمون أنه كان احب

الطعام والشراب اليه البان الابل ولحومها وانه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه الطعام والشراب اليه شكرا لله حرم على نفسه لحوم الابل ولبنها فقالوا اللهم نعم .

قالوا : فاخبرنا عمن يأتيك بالوحى . .

قال : انشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل هل تعلمونه جبريل وهو الذى يأتينى .

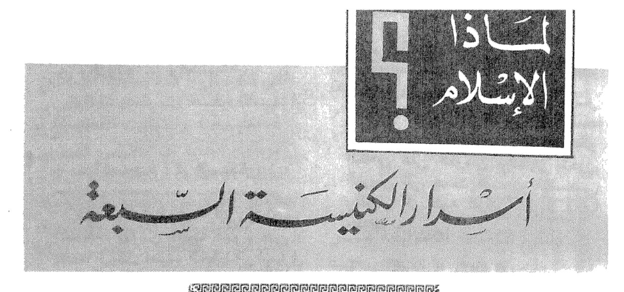
قالوا : اللهم نعم ولكنه يا محمد لنا عدو وهو ملك انما يأتى بالشدة ويسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك .

فانصرفوا . لينزل الله قوله تعالى « قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » الى قوله تعالى « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون . ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » . الآية

و . . أوصاف أخرى . .

ومع هذه الأوصاف لتحديد موقف اليهود ضد الاسلام . . والمسلمين . .
« لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود . . »

صدق الله العظيم



للأستاذ : أحمد حسين المحامي

ليس باستطاعة اي مسلم أن يدرك ما تعنيه كلمة الكنيسة من معنى عميق ، فالكثيرون قد يتصورون انها المكان الذي يقابل الجامع عند المسلمين ، أو مكان العبادة عند اي دين من الأديان . وليس ابعد عن الحقيقة من هذا التصور فالمسجد عند المسلمين لا يخرج عن كونه مكانا ليصلي فيه المسلمون صلاة الجماعة ، حيث يؤمهم اكثرهم حفظا للقرآن ، أو اكبرهم سنا ، أو من يختارونه لدى كل صلاة . وصلاة الجماعة تؤدى في اي مكان ، في البناء والعراء ، والأرض كلها مسجد لله حيث يقول الرسول صلوات الله عليه « جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا » وليس بين المسلم وربه اي وسيط ، على ما سوف نشرحه بالتفصيل فيما بعد .

اما كلمة الكنيسة فهي شيء يكاد يعز على التصور والتصديق ، فهي ليست كما يتصور الكثيرون مجرد هذا المبنى المعين الذي تقوم فيه الطقوس على سبيل التخصص والتحديد ، **ولكنها في معناها العام تشمل مجموع المسيحيين ، بل انها المسيح نفسه ، انها جسده ولحمه ودمه ، وهم يستندون في هذا على ما جاء في انجيل يوحنا : الحق اقول لكم ان لم تاكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في انفسكم . من ياكل جسدي ويشرب دمي هو مشرب حقيقي . من ياكل جسدى ويشرب دمي يثبت في وانا فيه (الاصحاح السادس ــ انجيل يوحنا) .**

فالمسيحيون اذن هم جسد الله الحي ، ولما كانت الكنيسة هي وحدها القادرة على أن تمد المؤمنين بجسد المسيح ودمه ، لأن عملية الفداء قد تمت لحسابها ، فلا عجب اذا وصلت الكنيسة الاوروبية في العصور الوسطى الى هذه الدرجة من الهيمنة على شئون المسيحيين ، فهي وحدها الحياة والجنة والنعيم ، وخارجها الموت والجحيم .

اسرار الكنيسة السبعة (1) :

وتتمثل سلطة الكنيسة في أسرارها السبعة التي لا يمكن أن توجد خارجها وهذه الأسرار السبعة هي : المعمودية ــ الميرون ــ والتناول ــ

(1) نلفت النظر الى أننا في عرض هذه الأسرار قد استعملنا نفس الالفاظ التي تستعملها كتب الأصول .

والتوبة — والاعتراف — والمسحة — والزواج — والكهنوت .

واليك تفصيل هذه الأسرار السبعة :

١ — المعمودية (او الصبغة) :

هي الولادة الجديدة التي يتطهر المصطبغ بها من خطيئة آدم ، فمن لا يتعمد ، يظل حليف الخطيئة واقعا في براثن الموت . وهذه النعمة غير المنظورة تمنحها الكنيسة في صورة منظورة ، وهي رش الماء في بعض المذاهب ، وبالتغطيس في الماء ثلاث مرات (المذاهب الشرقية) .

وقد جرى الخلاف حول وقت التعميد ، فالبعض يرون ضرورة تعميد الطفل المسيحي بمجرد ولادته حتى لا يموت قبل الحصول على هذه النعمة والبعض يرى وجوب تأخيرها لانها كفارة من الذنوب ، وطهارة . والاتفاق على ان أي مسيحي يجب أن يعمد على الأقل مرة في حياته .

٢ — الميرون :

هو حلول روح القدس على الانسان الذي نال المعمودية المقدسة وهذه النعمة غير المنظورة تمنحها الكنيسة على يد كهنتها بمسح المؤمنين بدهن الميرون المقدس . والاصل في الميرون انه الحنوط والطيب الذي دهن به جسد المسيح عند دفنه . وقد اقتسمها الرسل بعد القيامة وتوارثها الآباء عن الرسل ، ثم رتبوا شعائر خاصة يؤدونها كلما وجدوا أن ما بقي لديهم من الميرون لا يفي بحاجة الكنائس . اي انهم يحتفظون دائما بخميرة من الموجود لديهم ويضيفون عليها حنوطا وطيبا جديدين ، لتظل البركة الأولى الناتجة عن ملاصقة الحنوط لجسد الرب باقية على مر الأجيال

٣ — التناول :

أو العشاء الرباني وهو سر الأسرار لأن المؤمن يتناول فيه جسد الرب ودمه الأقدسين . فعندما يتلو الكاهن على القربان والخمر يتحول القربان الى جسد الرب المقدس والخمر الى دمه الزكي تحويلا فعليا حقيقيا .

٤ — التوبة او الاعتراف :

وهذا السر معناه الحصول على المغفرة بعد أن يبوح المعترف للكاهن بما اقترفه من ذنوب .

٥ — المسحة :

وهي سر ينال به المؤمن الشفاء الجسدي والروحي بعد أن يتلو الكاهن صلاة القنديل ثم يدهن المريض بالزيت المقدس .

٦ — الزواج :

وهو ربط الزوجين برباط الزواج المقدس الذي لا ينفصم . وكل زواج خارج الكنيسة لا تعترف به . وبالتالي لا يكون زواجا بل علاقة آثمة .

٧ — الكهنوت :

هو السر الذي ينال به الانسان النعمة التي تؤهله لأن يؤدي رسالة السيد المسيح بين اخوته من البشر — اي انه السر الذي يمكن صاحبه من اتمام الأسرار الستة الأخرى . فليس في الكنيسة من يستطيع أن يتمم شعائر المعمودية (الصبغة المقدسة) او مراسيم الزواج ، او غيرها من الأسرار ، غير الكاهن الذي وضعت عليه اليد وتليت عليه الصلوات الخاصة برسامة الكهنة .

والكهنوت في الكنيسة خلافة رسولية اخذه الآباء الأولون عن الرسل انفسهم ، وسلموه لمن بعدهم والرسل بدورهم اخذوا هذا السر المقدس من المسيح (١) .

عصمة البابا :

وتنفرد الكنيسة الكاثوليكية بسر ثامن مارسته طوال تاريخ وجودها وهو عصمة البابا واستحالة ارتكابه اي خطيئة ، لأن روح القدس ينطق من خلاله ، فهو خليفة بطرس الرسول الذي اعطاه المسيح مفاتيح السماء والأرض ، فكل ما ربطه على الأرض يكون مربوطا في السماء وكل ما حله على الأرض يكون محلولا في السماء .

ولم تكن عصمة البابا محل اي اعتراض من المسيحيين الغربيين خلال القرون العديدة الأولى ، وليس الا عندما قامت البروتستانتية في العصور الحديثة نسبيا ، ان وجد من انكر هذه العصمة ، ولذلك فقد احتاج البابا الى مجمع مسكوني كاثوليكي انعقد في روما عام ١٨٦٩ ليؤكد هذا السر من جديد .

ولسنا نسمح لانفسنا ان نعلق على هذه الأسرار الا بان ننقل ما يقوله عنها « ول دورانت » وهو في ذلك يلخص قول مفكري الغرب وكتابه المحدثين .

« ان المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها ، ذلك ان العقل اليوناني المحتضر عاد الى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللغة اليونانية التي ظلت قرونا عدة صاحبة السلطان على السياسة اداة الأدب والطقوس المسيحية ، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية الى طقوس القداس الخفية الرهيبة ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على احداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف . فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ويوم الحساب ، وأبدية الثواب والعقاب وخلود الانسان في هذه او تلك ، ومنها جاءت عبادة أم الطفل ، والاتصال الصوفي بالله ذلك الاتصال الذي أوجد الأفلاطونية الحديثة واللاادرية وطمس معالم العقيدة المسيحية » ويختم دورانت بحثه بقوله :

وقصارى القول ، ان المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم (قيصر والمسيح ص ٢٧٦) .

اثر التعاليم الكنيسية على مسيحيي الشرق والغرب :

كان طبيعيا وهذه تعاليم الكنيسة المسيحية ، او بالأحرى ما صارت اليه التعاليم المسيحية ، ان يكون لها اثر عميق في نفوس معتنقيها وظروفهم واحوالهم المعاشية والحضارية . ولكن هذا الأثر لم ياخذ طريقا واحدا في الشرق والغرب .

فحيث ظلت الكنيسة المسيحية الشرقية ــ وقد كان الشرق هو مهبط الديانات كلها ــ عنوانا على اعظم ما تمثله المسيحية وهو الدعوة الدائمة الى المحبة والرحمة والوداعة

---

(١) من كتاب اسرار الكنيسة السبعة ــ لحبيب جرجس ــ مدير الكلية الاكليرية ــ نقلا عن كتاب قصة الكنيسة القبطية .

والزهد ، وحيث تحتفظ الكنيسة الشرقية بصفحة نقية خلت من ضروب العسف والانحراف والاضطهاد والعنف والقسوة أو محاربة العلم والتقدم ، فان الكنيسة الغربية سارت في طريق مضاد لكل ما تمثله المسيحية الأصلية من المعاني .

ويرجع سبب هذا الافتراق الى أن المسيحيين في الشرق وعلى رأسهم مسيحيو مصر ، شغلوا في القرون الأولى بنشر العقيدة المسيحية الأصلية في وجه الوثنية الرومانية ، فتعرضوا لما تعرضوا له من محن واضطهادات خلال القرون الثلاثة الأولى ، فقدموا للمسيحية شهداءها وقديسيها حتى انتصرت المسيحية على الوثنية الرومانية واصبحت هي دين الدولة الرسمي .

على أن ذلك لم يكد يتم، حتى انقسمت الامبراطورية الرومانية الى شرقية وغربية ، وقد ظلت الامبراطورية الشرقية تنعم بحكم مستقر حضاري في ظل الأباطرة الشرقيين ، الأمر الذي جنب الكنيسة الشرقية أو بالأحرى مسيحيي الشرق التورط في اخطبوط الحكم والادارة والسياسة ، فظلوا يلوذون بقيم المسيحية الروحية ويبشرون بل ويحيون حياة السلام والزهد والتجرد لله ، حتى لقد انتشر بين صفوفهم نظام الرهبنة والأديرة والنسك والتبتل لله (١) .

ولم يكن لذلك اثر في سير الحياة العامة التي ظلت تنطلق في طريقها في ظل السلطة الزمنية ، تعلم وتبني وتنشيء وتعمر ، ثم كان قيام الدولة الاسلامية في هذا الجزء من العالم ، وما أعقب ذلك من قيام الحضارة الاسلامية المزدهرة ، ولما كان من خصائص الاسلام التي سنعرض لها عند الكلام عنه ، اعترافه بالأديان الأخرى وخاصة بالمسيحية ، فقد استطاعت الكنيسة الشرقية ان تعيش في ظل الدولة الاسلامية ، متابعة حمل رسالتها المسيحية الأصيلة التي تتلخص في التبشير بالسلام والحب ، واضطلع المسيحيون الشرقيون بنصيبهم في بناء هذه الحضارة الجديدة ، فكان منهم المترجمون الذين نقلوا فلسفة الاغريق وعلومهم ، وكان من بينهم الأطباء والفلكيون والاداريون والماليون .

اما بالنسبة للمسيحية الغربية ، مسيحية أوربا الغربية ، حيث سقطت روما عام ٤٧٥ م في يد القبائل المتبربرة من الجرمان والقوط والوندال ، وحيث لم تستطع موجة الحضارة الاسلامية أن تنفذ الى غرب أوربا بعد موقعة بواتييه عام ٧٣٢ م فقد أصبح بابا روما هو السلطة الزمنية الوحيدة في اوربا ، واصبحت الكنيسة هي المنظمة الوحيدة التي تستطيع ان تبث شيئا من النظام ، وتقيم حكم القانون ، وكان ان ترتب على ذلك تبدل حياة أوربا الغربية تبدلا عجيبا ، فبعد الحضارة الاغريقية والرومانية التي لا تزال تروعنا حتى الآن بآثارها الفكرية والفنية ومنشئاتها ومبانيها الاعجازية ، تردت أوربا فيما يوصف بأنه خمول تاريخي وذبول حضاري ، وغرقت أوربا فيما يسميه علماؤها ومؤرخوها بالعصور الوسطى المظلمة ، حيث توقف كل علم وكل تفكير وكل تقدم أو تطور ، وجمدت الحياة واصيبت بالشلل .

وحسبنا أن ننقل لك فقرة واحدة من مئات والوف الفقرات بل الكتب

---

(١) الاجماع على أن نظام الرهبنة قد خرج من مصر .

التي وضعها الأوربيون وصفا لحالة اوربا طوال خمسة قرون ، وهي من قول العلامة الأمريكي المؤرخ درابر :

« لقد كانت اوربا في ذلك العهد غاصة بالغابات الكثيفة بعد ان اهمل الناس الزراعة ، وكانت المستنقعات قد كثرت حول المدن ، فكانت تنتشر فيها روائح قتالة اجتاحت الناس حيث يستغيثون ولا مغيث . وكانت البيوت تبنى في باريس ولندن من الخشب والطين المعجون بالقش والبوص ، ولم يكن لها نوافذ أو ارضيات خشبية اما الأبسطة فكانت مجهولة لديهم ، وكان يقوم مقامها القش فينشرونه على الأرض ، ولم يكونوا يعرفون المداخن ، فكان الدخان يطوف بالبيت ثم يتسرب من ثقب صغير صنعوه له في السقف فكان الناس في هذه البيوت معرضين لكل انواع الاصابات الخطيرة . وكان الناس لا يعرفون النظافة ، فيلقون بأحشاء الحيوانات واقذار المطابخ أمام بيوتهم اكواما تتصاعد منها روائح قاتلة ولا رقيب ولا حسيب . وكانت الاسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة من رجال ونساء وأطفال وكثيرا ما كانوا يؤون معهم حيواناتهم المنزلية » .

« وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف يستخدم كمخدة . وكانت النظافة معدومة لديهم فلا يعرفون لها رسما ، وكان الغني منهم لا يأكل اللحم الا مرة في الأسبوع . ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط او مصابيح ، وكان من اثر الجهالة المنتشرة في ارجاء اوربا ان عمتها الخرافات والأوهام ، فانحصر التداوي في زيارة الأماكن المقدسة ، ومات الطب وراجت احابيل الدجالين ، وكان اذا دهم البلاد وباء فزع رجال الدين الى الصلاة ، ولم يلتفتوا الى أمر النظافة فكانت الأوبئة تفتك بهم فتكا ذريعا ، حتى انها زارت اوربا عدة مرات فاجتاحت ملايين من اهلها في أيام معدودة (١) .

ويضيق بنا المجال لو حاولنا ان نحدثك عن الحروب الدينية التي غرقت فيها اوربا ، وعن محاكم التفتيش التي احرقت عشرات الألوف من الأحياء بدعوى الهرطقة والكفر والالحاد . وحرق جان دارك التي أنقذت فرنسا من الاحتلال الانجليزي هو نموذج لمن كانت تحرقهم الكنيسة، وحرق برونو وهوس ، نموذج آخر لمن كانت تحرق من دعاة الاصلاح ، وطالبي العلم .

ولا نريد ان نستطرد فنحدثك عن الحروب الصليبية ، والتي كانت وبالا على المسيحيين الشرقيين انفسهم قبل ان يصلى بحرها المسلمون ، وليس هناك ما هو آلم على انفسنا من ان يضطرنا البحث العلمي او التاريخي ، لان نشير الى ما فعله الصليبيون عندما اقسموا أن يخوضوا في بحار من دم المسلمين وأن يقيموا جبالا من الجثث والجماجم ، وكيف بروا بقسمهم فكانت النساء يقتلن طعنا بالسيوف والحراب والأطفال الرضع يختطفون من فوق أثداء امهاتهم ويقذف بهم من فوق الأسوار او تهشم رؤوسهم بدقها بالعمد . وذبح السبعون الف مسلم الذين ظلوا في المدينة ، اما اليهود الذين بقوا احياء

(١) وذلك في الوقت الذي بلغت فيه الحضارة الاسلامية في الاندلس الذروة (اقرأ للمؤلف « تاريخ الانسانية ») .

فقد سيقوا الى كنيس لهم واشعلت النار فيهم وهم أحياء .

ثم توجه المنتصرون وعيونهم تفيض بالدمع وقلوبهم تخفق بالعرفان بالجميل للمسيح المخلص الحمل الوديع رب الحب والسلام (١) .

تلك كانت حالة أوربا المسيحية الغربية ، عندما كانت الكنيسة هي صاحبة الحكم المطلق ، وهذا هو مدى تطبيقها تعاليم المسيحية واثر هذه التعاليم في المجتمع الأوربي . ويصبح السؤال الآن :

متى وكيف نهضت اوربا المسيحية ؟

ذلك أنه اذا كان هذا هو ما انتهت اليه أوربا تحت حكم الكنيسة الغربية من جهل وتعصب وعنف وحروب وقسوة ، فمتى وكيف نهضت أوربا بعد ذلك ؟ .

يجمع المفكرون والمؤرخون الاوروبيون ، أن أول اشعاع من نور في ظلمات العصور الوسطى ، قد جاء عبر الأندلس الاسلامية وعبر صقلية ، وجاء من خلال احتكاك الأوربيين بالمسلمين من خلال الحروب الصليبية .

وجاء ثانيا نتيجة حركة الاصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر عام ١٥١٧ ، حيث أنكر مارتن لوثر حق البابا في بيع صكوك الغفران ، بل وانكر عليه حق منح الغفران بأي وجه من الوجوه ، وحطم احتكار الكنيسة لقراءة الانجيل وتفسيره ، فترجمه الى اللغة الألمانية وخول لكل مسيحي حق مطالعة الانجيل ، ومن هنا تطلق الكنائس البروتستانتية على نفسها اسم الكنائس الانجيلية ، وتتابعت حركات البروتستانت تقوض من سلطان الكنيسة وأسرارها وترفض فكرة العشاء الرباني وان الخبز والخمر يتحولان الى جسد المسيح ودمه حقا وصدقا ، وترفض عبادة الصور والتماثيل ، وتنكر على الكنيسة غفران الذنوب .

وقد صادفت هذه الحركة هوى في نفوس بعض ملوك أوربا وامرائها فحموا القائلين بها لأول مرة من الموت على المحرقة . واستقلت كنائس كل دولة تحت زعامة ملكها وسيدها .

ثم كانت سلسلة الثورات ضد الكنيسة ، والتي شملت العقيدة من اساسها ، ابتداء بالثورة الفرنسية وانتهاء بالثورة الشيوعية ، واخيرا بسيادة التعاليم المادية والاغراق فيها، كما هو الشأن في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تضاد حياة الأمريكيين كل حرف من حروف المسيحية ، فبينما تدعو المسيحية للفقر والزهد فيقول السيد المسيح للرجل الغني :

« ان كنت تريد ان تكون كاملا فاذهب وبع كل شيء لك واعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني . فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزينا لأنه كان ذا مال كثير . فقال يسوع لتلاميذه الحق اقول لكم انه يعسر على الغني دخول ملكوت السماوات . وأيضا اقول لكم انه لاسهل ان يدخل الجمل من ثقب الابرة من ان يدخل غني في ملكوت السماوات . (متى الاصحاح التاسع عشر) .

---

(١) المؤلف ــ تاريخ الانسانية .

وفي مقابل هذه الصورة ، ترتفع صورة التسامح الاسلامي التي اذهلت الاوربيين عندما اعاد صلاح الدين فتح بيت المقدس وحقن دم كل من كان فيه .

تقول حيث يدعو المسيح للفقر والزهد ، فيكاد كل من في الولايات المتحدة يحارب من اجل الغنى ، وهو على استعداد ان يفعل كل شيء من اجل الحصول على هذا الغنى ، ولا يقاس اي انسان أو أي أمر من الامور الا من خلال الدولار ، حتى قيل بحق أن الدولار هو معبود الكثرة الغالبة من الأمريكان .

وحيث يطلب المسيح من اتباعه ان يحبوا أعداءهم وان يحسنوا الى مبغضيهم فان الطائرات الأمريكية تدق بلا شفقة ورحمة شعب فيتنام الصغير الذي يبعد عنهم عشرات الألوف من الأميال ولم يعتد عليهم .

بل انّ المجتمع الامريكي ليقف على النقيض من أدق تفاصيل الشريعة المسيحية ، فحيث يقول السيد المسيح : قد قيل لكم ان من طلق امرأته الا لعلة الزنا فقد جعلها زانية ومن تزوج مطلقة فقد زنا .

فقد اصبح الطلاق في الولايات المتحدة من أيسر الأمور ، بل انه ليحصل عليه لأسباب تدعو في كثير من الاحيان الى السخرية .

ولعل هذا التباين الشديد بين ما تدعو اليه المسيحية وما اصبح يحيا عليه الأوربيون والأمريكان ، هو الذي جعل دائرة المعارف البريطانية والمفروض فيها انها أعظم كتاب معارف لدى الأوربيين والأمريكان تقول تحت عنوان كلمة « مسيحية » في المجلد الخامس « ان تاريخ المسيحية وتعدد الكنائس وشيع المسيحيين وفرقهم ، ولد الشعور لدى بعض الباحثين ان ليس **للمسيحيين شيء يشتركون فيه سوى الاسم »** .

ومما يزيد في تقوية هذا الشعور محاولة بعض الشراح تلخيص جوهر المسيحية في أنها « أبوة الله وبنوة الانسان » ومثل هذه العبارة قد تعني الكثير جدا كما قد تعني القليل جدا كذلك حسبما يستخلصه الانسان منها .

لا ارتباط بين المسيحية وبين ما عليه أوربا وأمريكا

يخلص من كل ما سبق انه لا ارتباط بين ما يمكن ان يكون عليه الاوربيون والامريكان من قوة وتقدم مادى وبين المسيحية كدين ، فهم لم يصلوا الى ما وصلوا اليه الا بعد ان انسلخوا عن المسيحية كما تصورها الكنيسة الغربية ، ، والا بعد أن القوا تعاليم المسيح الأصلية وراء ظهورهم .

وذلك على خلاف الاسلام كما سوف نرى ، فحيث تشرب المسلمون عقيدته وجوهر تعاليمه كانت لهم هذه الحضارة الزاهرة التي فاقت كل ما سبقها من حضارة .. ولم يتدهور المسلمون الا بعد ان فقدوا الروح الاسلامية الأصيلة ، وسوف نرى كيف ان لا سبيل لاستعادتهم أرقى درجات الحضارة الا من خلال الروح الاسلامية مرة أخرى ، ولكن لا يزال علينا ان نستعرض قبل ذلك ديانة أخرى عالمية هي الديانة البوذية فالى المقال القادم ان شاء الله .

- الشكر على نعمة الماضي أمل في نعمة المستقبل .
- الأشياء العظيمة لا ترى الا على بعد .
- اذا تحققت كل رغباتنا ضاعت أكثر لذائذنا .
- الجهل لا يحسم نزاعا .



ترجمة الاستاذ مصطفى الزرقا
خبير الموسوعة الفقهية
بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

من المعلوم ان المسلمين يعتمدون اللغة العربية حتما في القيام بعمل الصلاة ، التى تشتمل أيضا فيما سوى الأقوال على حركات فيها تعبير رمزى ، وأنهم يتلون مقاطع من القرآن ، ويتلفظون بصيغ كلامية ، تؤكد عظمة الله وخضوع الانسان ، يفعل ذلك العرب وغيرهم على السواء ، حتى الذين لا يفهمون كلمة من العربية ، كان ذلك من عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يزال كذلك ، مهما اختلفت الظروف والمواطن واللغة الوطنية الأم للمسلم .

قد يبدو لأول نظرة طبيعيا ومستحسنا ان يوجه المؤمن صلواته وادعيته من أعماق ضميره وشعوره بما يقول ، ولغة الأم هى الوسيلة الأفضل لهذه الغاية . وقد يتصور من هذه الناحية أفضلية لتادية الصلاة باللغة التى يتكلمها المسلمون في الزوايا الأربع من العالم . ولكن اعتبارا ونظرا اعمق من ذلك ، يظهر منه أن هناك أسبابا وجيهة تناقض هذا التفكير والتصور ، اى توجب الاقتصار على اللغة العربية ، وذلك للاعتبارات التالية .

١) فهنالك اولا مبرر اعتقادى (ميتافيزيكى) او نفسى . ذلك انه بمقتضى نص القرآن (١) (٣٣ — ٦) تعتبر زوجات الرسول امهات للمسلمين ، ونحن نعلم ان جميع زوجاته المكرمات يتكلمن العربية . فبذلك تعتبر اللغة العربية هى لغة الأم لجميع المسلمين . وحينئذ لا يبقى مجال لأية ملاحظة قائمة على أساس ضرورة اداء الصلوات بلغة الأم .

٢) واذا اعتبر هذا المبرر غير كاف للاقتناع ، فاننا ننطلق بالنظر الى ابعد ، فنلاحظ انه بمقتضى العقيدة الاسلامية يعتبر القرآن كلام الله (سبحانه) وان تلاوته معتبرة بمقتضى نصوصه نفسها من القربات المطلوبة . فمن الناحية الروحية يسيح المؤمن سياحة الى الله (تعالى) بواسطة تلاوة كلامه المقدس . والنص الأصلى لهذا الكلام الموحى به الى رسول الاسلام هو عربى . فمهما تكن الترجمة له من الدقة بمكان فانها لا تخرج عن كونها من صنعة الانسان وكلامه . وهذا لا يمكن ابدا أن يؤدى الغاية من تلك السياحة الروحية التى تتحقق بالصلاة .

٣) وبالنسبة لمن يفتشون عن سبب مبرر اقوى نقول انه يجب التمييز الدقيق بين الصلاة بمعنى الدعاء ، والصلاة بمعناها الخاص في صورة عبادة الله ، فأما الدعاء وهو المعنى الأصلى العام للصلاة غير الصورة الخاصة بعبادة الله ، وهو ما يسمى (مناجاة الله) ، فانه لا اعتراض ابدا على حرية الانسان ؛ في ان يوجه حاجاته وتوسلاته الى ربه بأية لغة يختارها ، وأى وضع يكون عليه . ذلك لأن هذه صلة شخصية خاصة بعلاقة فردية بين المخلوق والخالق .

أما الصلاة (بمعناها الخاص) ، اى العبادة المفروضة في صورتها الاسلامية المشروعة ، فهى عمل عام ذو صفة جماعية ، يجب النظر فيه الى بقية الرفاق المصاحبين في صلاة الجماعة . فصلاة المسلم هذه يجب مبدئيا أن تؤدى بصورة مشتركة مع الآخرين (جماعة) ، ذلك لأن اداء الصلاة فرديا صحيح ، ولكن المطلوب المفضل اداؤها بقيادة امام (جماعة) .

٤) لو كان الاسلام دينا اقليميا او قوميا او مرتبطا بعرق بشرى ، لكان من المحتم فيه أن تستعمل في الصلاة لغة ذلك الاقليم او العرق او القوم . اما في ديانة عالمية فالأمر بالعكس تماما حيث يتكلم المؤمنون بها مئات اللغات المحلية ؛ ولا يفهم احدهم لغة سواه من الأجناس البشرية الاخرى .

ان حياتنا تزداد كل يوم اتساعا نحو الصفة العالمية ، وان كل بلد فى الأرض يستقبل فعلا ويؤوى الكثير من المسلمين من مختلف المجموعات اللغوية .

٥) في الواقع لا يوجد دين واحد على وجه الأرض سوى الاسلام يملك اليوم النص الاصلى للوحى الذى يقوم على اساسه ، والنصوص الأصلية لتعليمات مؤسسه . فالمسيحيون واليهود والمزدكييون ، وسواهم من الجماعات

---

(١) قوله تعالى « النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم ...

الدينية ، لا يوجد لدى فئة منهم سوى ترجمة للنص الأصلي في ديانتهم ، او سوى قطع متفرقة منه على الاكثر . فأى سعادة او ثقة تعادل ما للمسلمين الذين هم الاستثناء الوحيد من هذا الواقع ، اذ يملكون النص الأصلي لوحي الاسلام وهو القرآن الكريم ؟!

٦) علاوة على ما تقدم يلحظ أن القرآن — وان كان نثرا — هو مشتمل على جميع خصائص الشعر وعذوبته من الجرس اللفظي ، وتوافق الفواصل ، وجزالة التعبير وبلاغة الأداء ... بحيث أن حذف حرف واحد من جملة ، او اضافة حرف اليها ، يورث فيها خللا واضطرابا ، كما لو حصل ذلك الحذف او الاضافة في بيت من الشعر الموزون .

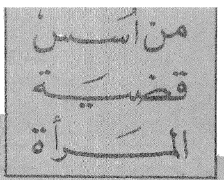
٧) يرى كاتب هذه السطور شخصيا ان اى مسلم لا يمكن ان يعطى اى ترجمة للقرآن من الاحترام الديني ما يعطيه لنص القرآن الأصلي الموحى به من الله سبحانه الى رسوله . ذلك لأن الترجمة هى صياغة شخص عادى ، وليست صياغة جهة معصومة محمية من الخطأ كما هو الشأن فى نبى .

٨) وختاما نشير الى انه يوجد فريق من الكتاب يحتجون بأن بعض المجتهدين الكبار ، كالامام ابى حنيفة ، كان يرى جواز تلاوة ترجمة القرآن فى اداء الصلاة . ولكن هؤلاء الكتاب ذكروا جانبا واغفلوا جانبا آخر . فان الامام ابا حنيفة ، وان كان قد راى هذا الراى في بداية أمره ، قد رجع عنه بعد ذلك ، ووافق راى الأئمة الآخرين (وهذا هو المذكور في كتب المذهب الحنفى ، ككتاب الهداية للمرغيناني ، وكتاب الدر المختار للحصكفى ، وغيرهما ..) وان ابا حنيفة ايضا يقول بانه في الحالات العادية الطبيعية لا يجوز في الصلاة تلاوة القرآن بغير العربية .

وفي الواقع يوجد حكم استثنائى للضرورة كما في حال الشخص الذى يسلم من جديد ولا يعرف العربية . فهذا يجب عليه ان يبدأ فورا بأداء الصلوات الخمس يوميا ، وهى تشتمل على تلاوة الزامية لقسم من القرآن حفظا عن ظهر قلب . فيرخص له بتلاوة معانى بعض الآيات باللغة التى يعرفها ، الى أن يتعلم ما يكفى للصلاة بالنص العربى . وفي هذه المسألة يوجد سابقة هامة من سلمان الفارسى الذى ترجم سورة الفاتحة الى الفارسية ، لكي ترسل الى اناس من المؤمنين الفرس ، وذلك بترخيص من الرسول نفسه (كما فى كتاب تاج الشريعة ، والنهاية حاشية الهداية : فصل الصلاة) . وهؤلاء الأعاجم استعملوا هذه الترجمة الى أن ائتلفت السنتهم ، ومرنت على النص العربى . وهكذا يمكن للمسلمين الجدد ان يستعملوا ترجمة القرآن بصورة مقبولة كأصله العربى لمدة ايام او لمدة ساعات بحسب الحاجة والحال .

يستخلص من كل ما تقدم أن كل مسلم بمقتضى الوحى القرآنى يختار دائما اللغة العربية ، اللغة الأم للرسول . وهكذا يظل الاسلام المصدر الحى الخالد للغة العربية .

مترجمة عن المجلة الفرنسية
« فرنسا والاسلام »
عدد آذار / ١٩٦٧ م



٤

حول مبررات عمل المرأة

للاستاذ البهى الخولى

– ١ –

لقضية عمل المرأة فى الغرب مشاكل اقتصادية واجتماعية لا تنتهى . فمنظمة الامم المتحدة – مثلا – عجزت الى اليوم عن تحقيق المساواة (العملية) فى الاجور بين الرجل والمرأة ؛ ورجال الاعمال ومؤسساتها يرفضون تلك المساواة بمنطق الانتاج الذى لا يحتمل مكابرة .. ورجال الاجتماع والادب وعلماء النفس يرون أن العمل على ضوء النتائج التى انتهى اليها – معطل لأسمى خصائص المرأة ؛ ووظائفها الطبيعية والاجتماعية ، وان المجتمع بدا يجنى من ذلك انحلال الروابط وابتذال كثير من القيم ..

وقد بدأنا – نحن العرب والمسلمين – ندخل تجربة عن المرأة ويوشك ان يكون لنا من مشاكله ما للغرب ، فتركنا قضية الحجاب والسفور ، واخذنا فى قضية العمل ، وما له من مبررات ؛ وما تحتمل من نتائج .. وقد يكون من مفاتيح الوصول الى لب هذه القضية بالنسبة لنا أن نسأل : لماذا تعمل المرأة بعد أن لم تكن تعمل ؟ .. أى لماذا تترك البيت وتتكسب فى الخارج ؟.

وقد يمكن تلخيص ما يقال من المسوغات لذلك ما ياتى :

١ – ان عمل المرأة يوسع آفاقها ، ويبرز وينمى مقومات شخصيتها ، ويقيها السأم القاتل الذى يورثها اياه بقاؤها الطويل ، او فراغها الذى تقضيه بين اربعة جدران ..

٢ – ان مجد الامة فى كثرة الايدى العاملة ، وان المرأة نصف المجتمع ، وليس مما يتحقق به هذا المجد ان يكون نصف المجتمع عاطلا ..

٣ – مساعدة من يعولها .. وقد تكون لا عائل لها ، فتعول نفسها بالعمل .. وقد يتوفى زوجها ، ويترك لها اطفالا عاجزين عن العمل ، ولا شىء لهم ولا لها ، فتجد فى العمل عصمة لها ولاولادها من الضياع ، وهى مع ذلك ((انسان)) ومن كرامتها ان تستقل بطلب عيشها ، فلا تكون عبئا على سواها ، وانما يكفل لها تلك الكرامة ان تعمل ..

ومن الضرورى لمناقشة تلك المبررات ان نستعيد في الذهن ما قررنا لها من اهلية اقتصادية واجتماعية لا تقل عن الرجل . . وكذلك علينا أن نبين ما قرره لها الاسلام من حق فى التعليم ، هو واجب عليها فى الوقت نفسه فى قوله عليه السلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (١) وهو نص يشمل الرجل والمراة باتفاق علماء الاسلام .

ولقد القى الاســـلام على كل من الرجل والمراة امانة الدين ، وهى اوكد امانات الحياة بل عمادها ، وجعل كلا منهما مسؤولا مسئولية خاصة عن تصحيح عقيدته وعبادته وخلقه وعمله — كما قدمنا فى بعض المقالات — فما لم يتعلم كل منهما احكام العبادات ، وما يتضمن من روابط الصلة بالله ومناهج التهذيب . . وما لم يتعلم اصول العقائد ، وما تتضمن من فلسفة الحق ، وسنن الاجتماع ، وأمهات الاخلاق ، وغايات الحياة ، ومبادىء السلوك ، ما لم يتعلم ذلك ، وكله من لباب العلم الذى تتضح به دقائق الكون ويبرا المرء من شقوة الحس وظلمة المادية وقع فى اثم التقصير ، وعرض نفسه لمهانة التخلف فى الدنيا والآخرة ، والله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » وكلمة الذين شاملة للمؤمنين والمؤمنات بصفة قاطعة ، ولن يستطيع أحد منهم أو منهن أن يقى نفسه واهله النار الا اذا تعلم حق ربه وحق حياته ، ولا جرم كان التأهيل لذلك من حقه وحقها قبل المجتمع .

ذلك الى ان القرآن الكريم نظم العلاقة بين الزوجين على قاعدة من قوله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » وهى قاعدة تذهب فيها المراة بطائفة من الحقوق والواجبات ، ويذهب الرجل بمثلها ، فهل تنجح الحياة الزوجية دون معرفة تلك الحقوق والواجبات ؟

ان قانون (القوامية) وحده — مثلا — فى قوله تعالى « الرجال قوامون على النساء » أو قانون السكن فى قوله « لتسكنوا اليها » يتطلب دراسات نفسية واجتماعية دقيقة لبيان مكانه من الحياة الزوجية وضرورته لها . . فاذا كان لذلك ونحوه اثره العملى فى التقارب الفكرى والوجدانى بين الزوجين ، فهو يعنينا من ناحية انه باب من المعرفة له اثره فى شحذ ملكات الفكر ، وتعدد جوانب النفس ، وجه الاسلام اليه كلا من الرجل والمراة لتنظيم الحقوق والواجبات .

ويقول عليه السلام : « والمراة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها » وهى مهمة متعددة الجوانب ، منها الاقتصادى ومنها الطبى ، ومنهـــا الاجتماعى ، ومنها التربوى الفلسفى ، ومنها الادارى . . فكيف تسوس — مثلا — دخل زوجها وماله ؟ وهو موضوع نجرى فيه على الارتجال ، ونعتبر من ترتب لنفسها « ميزانية » شهرية ربة بيت مثلى ، بينما التخطيط المقتضب هو كالارتجال لا يدرك خطورة العـــامل الاقتصـــادى ، وارتبـــاطه الحسى باستقرار الاسرة ومصيرها ، اذ هو العامل الاول الفاصل فى الاستقرار والمصير ، وتخطيطه الحق يقتضى اعتبارات وثقافات لا بد من تيسيرها وتوفيرها للمراة لتسلم لهـــا مسؤوليتها عن هذا الجانب . .

---

(١) رواه ابن ماجه . . وقال العراقى فى تخريج الاحياء : صحح بعض الائمة طرقه .

وكيف تسوس الطفل ؟.. ولا اعنى سياسته فى رضاعه ، وطعامه وشرابه ، ولباسه ونومه ومرضه فحسب ؛ بل اعنى الى ذلك سياسة عقله وخلقه . فالطفل جهاز حى لاقط — بغير وعي — لكل ما يبدر منها من سمات الفكر والخلق ، فكيف تجعل سلوكها سياسة تربوية مرتبة للايحاء بأقوم مناهج الفكر والخلق ؟..

ان مكانها منه وهو فى دور امتصاص الايحاء بلا حساب هو اخطر موقف يقومه انسان من انسان ، فكيف توحى اليه — وهو فى هذا الطور الخطير — افضل العقائد والقيم والسلوك ؟.. ان ذلك وحده يقتضى منها دراسات جادة متعددة الجوانب فى الدين ، والفلسفة ، وعلم النفس — ولا سيما الطفولة — والاخلاق ، والفن ، والاجتماع . . على الا تكون دراسات نظرية للتكمل بالمعرفة ؛ بل لتزكى نفسها وخصائصها ، وتترجمها التزامات تندمج فيها بفكرها ووجدانها ؛ حتى تحقق نموذج القدوة الكامل الذى يكون سلوكه صورة غير متكلفة كما يرام ايحاؤه للطفل . . ولا نطيل بمناقشة جوانب تلك المهمة ، فحسبنا ما قدمنا ، ولكنا بصدد مسئولية (ربة البيت) عن عامة أماناتها ، فان الاسلام لم يقرر تلك المسئولية الا وهو يقدر ، ما تقتضيه من الوان الثقافة والعلم ، ويفترض مسئولية المجتمع عن تيسير ذلك ، اما حقها فيه فمفروغ منه لا يحتاج الى تقرير .

هذا واعتبار المراة (ذات مسئولية) له اثره فى حياتها الفكرية والنفسية ، فان الاحساس بالمسئولية هو فى الواقع (احساس بالذات) وباعث الاستجابة الى الواجب ، ومن ثم فهو مناط الاحساس بالكرامة واهمية الوجود .. ذلك الى انه ينبه فيها جوانب غافلة او خاملة الى التزامات فى آفاق عدة ، فتدب فى نواحى النفس الوان من النشاط والحركة ، ويمتاز الفكر بتعدد جوانب النظر ، فهو اعتبار له اثره فى دعم الوجود واكتمال الشخصية ..

— ٣ —

على ضوء هذا يمكن ان نناقش مبررات عمل المراة بشىء من التحليل يبين ما فيها من اصالة او زيف متجردين من العصبية للقديم ، والهوى للحديث ، معتمدين العقل والفطرة ، وسنن الله .

فأما ان عمل المراة — بصفة عامة — يوسع آفاقها .. الخ ، فحق لا تنازع فيه ؛ بل يجب ان نوفره لها .

والذين نظروا فى هذا المبرر ، استنبطوه من جهل المراة فى الجيل الماضى والاجيال السابقة له ، وبقاياه الماثلة بيننا الآن ، اذ لم يكن لها من الالمام بعلوم الحياة والدين ، والوان الثقافة والادب والفن ما ينير ذهنها ، ويصقل ذوقها ، ويصلها بآفاق من الحياة ، ويعرفها بقيمتها وحقها ، ورسالتها فى داخل البيت وخارجه ، فأورثها هذا الجهل ضيق المجال الحيوى ، والافق الذهنى وضمور الشخصية ، حتى لم يكن لها من قدر فى نفسها — غالبا — الا انها كائن للحمل

والولادة ، وعمل البيت ، في اسلوب آلي محجوب عن الاستنارة التي تنظم ذلك ، وتتبين أهدافه السامية التي ينطوي عليها او تستتر خلفه .

ومن المعروف ان وراء زوجية الجنس زوجية اخرى روحية ، ثمارها السكن ، والمودة والرحمة .. وان وراء الامومة التي هي مجرد حمل وولادة ورضاعة ، امومة اخرى روحية يبث الله بها في فطرة الولد — جنينا وغير جنين — استعدادا روحيا يعظم به قدر الوالدين ، وينبعث الى حبهما ، والمبادرة بخدمتهما وبرهما ، ويتبع ذلك في المجتمع من آثار وروابط سامية ما يتبعه .

وقررنا ايضا ان حقيقة وجودها هو انسانيتها ، التي تتضمن جوهر فضائل النفس والقيم العليا ، وان عليها رسالة في الاصلاح الاجتماعي والسياسي تحرس بها قيم المجتمع ، وتقوم سياسته في كل شأن من شئون الدولة .

وبينا ان طلب العلم ليس مجرد حق للمراة ، بل هو فريضة عليها يجب على المسئولين عنها — وليها او المجتمع ممثلا في الدولة — ان يمكنوها منه .. وان العلم المطلوب ، هو العلم بدينها وكل معرفة تنير ذهنها وتقوم ضميرها وتصلها بآفاق الحياة العامة ، وتبصرها بأصول مهمتها ..

قدرنا ذلك كله باعتباره بعض الخطوط الاصيلة التي ينظم بها الاسلام وضع المراة في الحياة .. ولا شك في انه لو جنب المجتمع الاسلامي عوامل الدمار والتخلف التي اعترضته في الماضي ، واتيح له في كل عصر أن يقيم وضع المراة على تلك الاصول بقدر ما يتيسر له من ثقافة وعلم ، لكانت المراة المسلمة اليوم بين نساء العالم قاطبة مثالا فرداً لا يسامى ، ولا يداني في كرامتها وثقافتها ، وعلو منزلتها وقيادتها ، وعمق أثرها ووضوحه في الحياة ، بما تحقق داخل البيت وخارجه من اهداف وقيم سامية ، ولكانت مضرب المثل ، ومنار القدوة في الشرق والغرب .. فاذا كنا صادقين في نشدان العلاج الحق لما تعاني المراة من ضيق الذهن وضمور الشخصية ، وعزلة عن الحياة ، وسأم من الفراغ ، فان ما قدمنا من منهج الاسلام الجامع يحقق فوق ما يدور بأحلام المصلحين من غايات وآمال ..

نعم ليس فيه ان تخرج المراة الى مصنع او بنك ، او مؤسسة او نحوها . ولكنا ننشد علاج علة ، فاذا تيسر لنا ذلك العلاج على اوفاه وافضله مع اقامتها على شأنها الطبيعي ، وواجبها نحو المجتمع فهو اولى — بلا نزاع — من أي علاج يقتضي تغييرا ما .. والا طلبنا غيره .

وهذا منهاج الاسلام يكفل لها — بل يفرض عليها — من الثقافة والعلم ما لا نجده في شريعة من الشرائع ، ونحسب ذلك ليس موضع خلاف .. وعملها الاصلاحي والسياسي في حراسته قيم المجتمع وتنميتها ، وتقويم الاتجاه العام ، ومراقبة اداة الدولة ، كتابة ، وخطابة ، ومشاركة في الاندية ، والجماعات ،

والمنظمات ، العاملة لذلك نيابية وغير نيابية .. وما تكسب فيه من خبرة ، وما تلقى من اجله من رجال ونساء من نماذج شتى ، ذوى مواهب وامزجة متباينة ، وتجارب كثيرة — ذلك كله جدير بأن يملأ فراغ نفسها ووقتها بمشاغل قيمة ، تشعرها بنفاسة الحياة ، وبأنها فى نفسها ذات قدر واهمية ، ويوسع آفاقها وصلتها بالحياة ، وينمى مقومات شخصيتها ابين واقوم ما تكون ، على مثال لا يبلغه — قطعا — عملها فى ديوان او نحوه ، فضلا عن اننا لا نجد من يقول : ان قيامها بطرق الحديد فى مصنع ، او لف البضاعة فى الورق للزبائن فى متجر ، او عرض الملابس فى المعارض والصالات او قبض اثمان المشتريات ، او نحوه هو اجدى من ذلك — عقلا ، وروحا واحساسا بالسعادة والأهمية — فى العلاج الذى ننشده .

ذلك الى ان قيام المراة فى بيت زوجها راعية لماله ، مدبرة لأمره ، مدركة لاهداف زوجيتها وأمومتها ، عاملة لها فى ثقافة وصدق ، كاف لملء الفراغ .. فراغ قلبها ، وعقلها ، ووقتها الذى تشكوه .. وقد يكون هذا مدعاة جدل اذا انفردنا بتقريره ، ولكن اذا قررته امراة مثقفة باملاء واقعها وتجربتها ، فهو تقرير من ذات اختصاص ادرى بمهام الأنثى وفطرتها عن وعى ، واجدر الا ترمى بالرجعية او عداء للمراة ..

فهذه كاتبة امريكية — فيليس ماكنجلي — تقول فى مقال لها بعنوان : « البيت مملكة المراة بدون منازع » « وهل نعد نحن النساء — بعد ان نلنا حرياتنا اخيرا — خائنات لجنسنا اذا ارتددنا لدورنا القديم فى البيوت ؟ » .

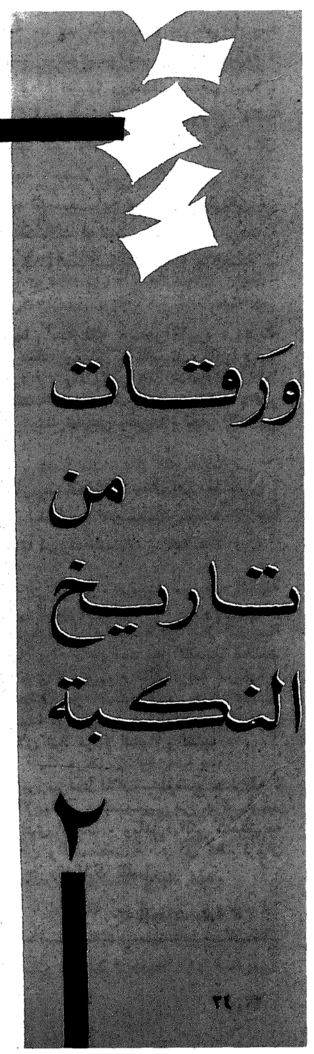
وتجيب على هذا السؤال بقولها : « ان لى آراء حاسمة فى هذه النقطة فاننى أصر على أن للنساء اكثر من حق فى البقاء كربات بيوت .. واننى اقدر مهنتنا واهميتها فى الحقل البشرى الى حد أدنى اراها كافية لان تملأ الحياة والقلب (1) » .. فهذه كاتبة تتكلم باعتبارها امراة « هل نعد نحن النساء خائنات لجنسنا » « اننى اقدر مهنتنا فى الحقل البشرى » وهى مع ذلك غربية أمريكية ، اى من مجتمع أصبحت فيه المراة العاملة حقيقة من حقائقه ، فهى تتكلم بلسان الانوثة والتجربة ، ولهذين الاعتبارين وزنهما فى تأييد قولها اذا قالت : « ان مهمة ربة البيت فى الحقل البشرى كافية لان تملأ فراغ الحياة والقلب » .

فاذا كان ثمة من يرى فى الاعتبار الاخير — بعد ذلك — موضع جدل له ، فانا نعتقد أنه لا جدال فى أن عمل المراة الاصلاحى والسياسى فى حراسة قيم المجتمع وتنهينها .. الخ .. على المثال الذى اوردنا ، وبآثاره التى تتحقق به كاف لملء الوقت ، وعلاج آفة ضمور الذهن والشخصية .. اى كاف لزوال المبرر الاول من المبررات التى رتبوا عليها خروج المراة للعمل .

« للحديث بقية »

---

(1) مجلة المختار عدد مارس ١٩٦٥ .



نعود الى حديث المحاولات اليهودية التى حدثنا عن بعضها الشيخ على شيخ العرب ، فنقول : ان التاريخ حفظ لنا محاولة اخرى تلت تلك التى قام بها السفير اليهودى (غوش) ، وسبقت تلك التى قام بها اليهود الوقحون الثلاثة ، وعلى راسهم (مزراحى قراصوه افندى) وهذه المحاولة يحدثنا عنها الصحفى البريطانى (كريسبى) فى جريدة اقشام (المساء) التركية ، كما نقلتها جريدة « المعرض الاسبوعى » البيروتية فى عددها ١٩٣٦ المجلد العاشر ، فى كانون ثانى (يناير) ١٩٣٣ ص ١٩ قالت الجريدة :

« أرسل المسيو « كريسبى » الى جريدة « اقشام » التركية مقالا حول القضية الصهيونية ، بمناسبة الحوادث الأخيرة التى مرت بفلسطين ، ومما جاء فى هذا الحديث بتاريخ ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٣٠ هذه الفقرات التى ننقلها فيما يلى الى قراء المعرض ، والتى يشير فيها الكاتب الى حادث وقع خلال سنتى ١٩٠٠ — ١٩٠١ قال :

(.. كان الدكتور هرتزل فى ذلك العهد رئيس تحرير القسم الأدبى فى جريدة (نيوفرى) فى فينا ، فأرادنى أن أسعى له فى مقابلة السلطان عبد الحميد ، بعد أن بسط لى بحزن شديد كيف أن غليوم (امبراطور المانيا) والبرنس دو بيلوف خدعاه لما رافقهما فى رحلة الامبراطور الى فلسطين . فقد وعده هذا الأخير ان

يقدمه الى السلطان . فلما وصلوا الى الآستانة اكتفى البرنس بأن عرفه الى عزت باشا (العابد) ، الذى ما كاد يسمع القضية الصهيونية حتى غرق فى بحر من اللذات ، ووجد أنها مزراب من الذهب (سبق لهذا الشخص ان ارتشى بمبلغ مليون فرنك لاقناع الدولة بالتنازل عن كريت دون حرب) . وقد تبلت ان اهتم شخصيا بقضية الدكتور هرتزل ومطالبه ، خصوصا وأن هذه المطالب لم تكن تعاكس المساعى التى كنت اقوم بها يومئذ .

وبدات بكل شجاعة عملى ، فاصطدمت بالبداية بصعوبات خفية ، ولولا مساعدة شيخ الاسلام (جمال الدين افندى) ، « وكنت على صلة دائمة به » ، لفقدت كل أمل بنجاح مساعى ، فان هذا الشيخ اخذ على نفسه مهمة رفع كتابات الدكتور (هرتزل) وتقدماته الى الأعتاب السلطانية ، وكانت هذه التقدمات (الاقتراحات والعروض) باهرة واليك بيانها :

هرتزل يقول : ان الصهيونيين يتعهدون لقاء نزول اليهود المضطهدين فى انحاء العالم بفلسطين ، أن يدفعوا الدين العثمانى البالغ (اذا لم تخني الذاكرة ۳۳ مليون ليرة انكليزية) ، ويتعهدون كذلك ببناء اسطول كامل للدفاع عن أراضى الدولة العلية .

وفى هذه الأثناء قبل ان يعقد للدولة التركية قرضا بمبلغ مائة مليون فرنك تصرف فى سبيل التسليح العام .. ولكن هذه .. حبطت ولم تنجح ! ..) انتهى .

والذى كتبه مستر كريسبى فى هذه المذكرات هو فى الواقع تتمة لما كان يبذله هرتزل شخصيا لمواجهة السلطان عبد الحميد ، والتقدم اليه بمقترحاته الخداعة ، توصلا الى تحقيق غايات اليهودية العالمية بالاراضى المقدسة . وها نحن نقدم للقارىء ما كتبه هرتزل نفسه فى مذكراته التى طبعت بالالمانية فى تل أبيب سنة ١٩٣٤ ميلادية حول هذا الموضوع الذى أثاره مسيو كريسبى بعد الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) قال هرتزل :

(بعث السلطان الى وساما عالى الدرجة ومع الوسام جواب مفزع فى هذه العبارة :

« بلغوا الدكتور هرتزل الا يبذل بعد اليوم شيئا من المحاولة فى هذا الأمر (التوطن بفلسطين) فانى لست مستعدا لأن اتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب الى الغير . فالبلاد ليست ملكى بل هى ملك شعبى ، روى ترابها بدمائه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب ..) أ. هـ.

ان مذكرات هرتزل لا تحتمل المناقشة فيما تضمنته من رأى الدولة العثمانية ، وموقف السلطان عبد الحميد بالذات من محاولات اليهود ومشروعاتهم ، لاغتصاب فلسطين ، وتهويدها وتبديد سكانها وتدمير مقدساتها ! .

واخيرا تمكن اليهود من غرز اظافر اطماعهم فى قلب فلسطين ، بعد ان ازاحوا من دربهم العائق الرئيسى الذى كان متمثلا بيقظة السلطان عبد الحميد ، وانتباهه الى اساليبهم المجبولة بالمكر والخداع والتضليل .

وباعلان الدستور (المشروطة) ، ثم زوال الحكم من يد السلطان عبد الحميد ، فتحت مصاريع ابواب فلسطين امام تدفق اليهود ، وتقول مجلة الكلمة فى عددها الصادر بتشرين ١٩١١ ص ٤٢٣ التى نقلتها مجلة المشرق المجلد ١٥ سنة ١٩١٢ ، ص ٨٠ .

« ان الدستور العثمانى .. منح اليهود حق المساواة ، فلم يلبث اليهود فى تركيا ان اخذوا يظهرون للملأ ماذا يصنعون بهذه المساواة

فتبسلوا كل شىء انسلوا الى الوظائف العالية فى المملكة ، ثم لم يمض وقت طويل حتى ظهر ان مديرى دفة جمعية (تركيا الفتاة) هم يهود .. وبوجه الاجمال فان اعلان الدستور فى تركيا قد ملأ قلوب بنى اسرائيل اجمعين فرحا عظيما ، واخذوا بواسطة اعوانهم يثيرون كوامن البغضاء بين الاتراك المسلمين ، وبين سائر الشعوب المسيحية فى المملكة العثمانية .. ومما يؤكد هذه الحقيقة ان جريدة (التايمس) الانكليزية ، احدى الجرائد المشهورة عمالتها لليهود ، رأت أن تذكر اليهود بالدور الذى لعبوه فى تهييج النصارى ضد الاسلام »

« على ان تظاهرهم بنياتهم اليهودية لم يلبث ان اهاج سكان فلسطين ، ولاسيما المسلمين ، ضد الدولة العثمانية وخصوصا ضد تركيا الفتاة التى امست من جراء استسلامها لليهود مكروهة فى اكثر انحاء المملكة العثمانية .. » ا . هـ .

وفى معرض الحديث عن تأييد (جمعية الاتحاد والترقى) لليهود فى بلوغ مآ هم داخل الحكومة العثمانية للوصول الى مآربهم داخل فلسطين منذ تلك الأيام ، يقول عارف العارف فى كتابه : (المفصل فى تاريخ القدس ج ١ . ص ٩٩) :

اندس عدد غير قليل من الدونمة (الذين سبقت منا الاشارة الى اصلهم ومنشأهم (١)) فى حكومة الاتحاد والترقى امثال (جاويد بك) وزير المالية من سلانيك . بساريا افندى وزير النافعة من رومانيا ، ونسيم مازلياخ وزير التجارة والزراعة ، وكان ممثلا للجمعية الصهيونية ، وحسين جاهد (باتيش) رئيس تحرير جريدة طنين التركية ، فتغلغل هؤلاء فى اداة الحكم حتى اصبحت كلمتهم هى العليا .. وعن طريقهم وغيرهم من رجال الاتحاد والترقى ، سنت الحكومة قانونا يجيز للجمعيات ان تمتلك الاراضى فى فلسطين ، وسنت ايضا قانونا آخر ، اجازت بموجبه بيع المزارع السلطانية (الجفتلك ، وكانت مسجلة باسم السلطان عبد الحمد وهى كثيرة) بالمزاد العلنى . وعن طريق هذه القوانين وامثالها تمكن الصهيونيون من شراء اراضى فلسطين قبل وقوع الحرب العالمية الاولى ..) ا . هـ .

وقبيل الانتهاء من تسجيل هذه الخاطرات عن البصمات الاولى لمخالب اليهود وانيابهم فى زحفهم المتوحش نحو فلسطين ، نرى ان

---

(١) هم اليهود الذين تستروا بالدخول في الاسلام .

نرجع بالقلم الى ما سمعناه من الشيخ على شيخ العرب عن ذكرياته خلال الحرب العالمية الاولى فيما يتصل بموضوعنا ، فهو يقول بارك الله له فى صحته وعمره :

(سنة ١٩١٦ ، خلال الحرب العالمية الأولى ، كنت فى جبهة بئر السبع مع القائد الألمانى (فون كريس) وجاءت شكوى من يهود يافا على قائد المنطقة المرحوم حسن بك الجابى ، فأرسلنى الجنرال (فون كريس) الى يافا للتحقيق فى شكوى اليهود على هذا القائد .

فذهبت ، ونزلت ضيفا على السيد على افندى المستقيم من اعيان يافا . وسألت مضيفى وغيره عن حالة حسن بك الجابى ، وعلمت ان عداوة حسن بك لليهود اسبابها علمه بخيانتهم وتجسسهم لدولة الانجليز ، واعطائهم المعلومات للانكليز عن طريق شريف مكة من نواحى العقبة .

وذهبت مع حسن بك الجابى الى تل أبيب ، فوجدتها حيا مستجدا فيه كثير ممن جاء بعد سنة ١٩١٠ م اى فى فترة أربع سنوات قبل اعلان الحرب وتحقق عندى ان مجموع اليهود بفلسطين بعد ان كان فى عهد عبد الحميد بين اربعين الى خمسين الفا أصبح الآن فوق الثمانين الفا .

وعدت الى بئر السبع ، وقدمت تقريرا الى (فون كريس) وكتبت فى التقرير أن شكوى اليهود من حسن بك الجابى اسبابها احتكارهم لأسباب المعيشة . ولم اذكر (لفون كريس) شيئا عن تجسس اليهود واعمالهم الحقيقية ، وذلك بالاتفاق مع رئيس الأركان الحربية التركى (رشدى بك ثم باشا) الذى يعلم بأن القطعات الالمانية عندها يهود يقومون بأعمال الترجمة بين الألمان والأتراك والعرب ، وانهم يشغلون وظائفهم التى تمكنهم من الاطلاع على الأسرار للتجسس على حركة الجيوش العثمانية فى جبهة سيناء ، ويرسلون ما يحصلون عليه من المعلومات الى الانجليز » .

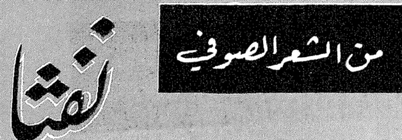
اما بعد ..

فلقد لعبت سياط سبتيموس سفيروس (الليبى الذى تزوج غريبة من حمص اسمها جولياد منة ، ثم اعتلى عرش روما على اثر انقلاب قام به ضد سلفه) فى اقفية اليهود سنة ١٣٥ للميلاد ، فغادروا القدس الشريف ، ولم يكونوا يدخلون هذا البلد الا حينما يتوجهون الى حائط المبكى (البراق الشريف) ويدندنون قائلين مع البكاء والنحيب والأمل واليأس بالعبرانية :

(من أجل القصر الذى اصبح خاليا ، نجلس فى الوحدة وننوح) .
(ومن اجل القصر الذى هدم) .
« ومن أجل عظمتنا الراحلة »
ومن أجل رجالنا العظام المائتين
ومن أجل الحجارة الثمينة التى احرقت .
ومن أجل ملوكنا الذين كرموه

نتضرع اليك ، كن رحوما بصهيون
اجمع شمل ابناء أورشليم
عجل الينا يا مخلص صهيون
انزل رحمتك فى قلب أورشليم
فلتكلل صهيون بالمجد والجمال
وأعد الينا مملكة صهيون حالا
وامنح العزاء الى النائحين على أورشليم » .

« البقية على ص : ٤٨ »



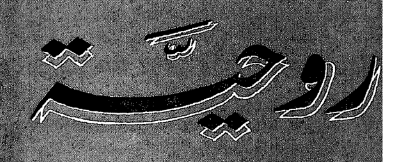


شمس الحقيقة

اسقياني واترعا اكوابي … ودعاني فذاك يوم متابي
اسقياني فان سكرت فزيدوا … ان صحوى بان تزيدوا شرابي
كل كاس كانما نحتسوها … من قلوب العباد فى المحراب
احتسى راحها وانسى لديها … نسبا قام لى بهذا التراب
وارانى أرف الافق العالى … رغيف الورود غب السحاب
وأرى الشمس خير ما لاحت … الشمس تبث الضياء فى اعصابى
ما هدت مقتلي الى سنن الحق … ولكن هدت عصى رغابى

* * *

ايه يا شمس نحن عشاقك الهيم … فبينى ولو وراء نقاب
هل سمعت القصيد الا نسيبا … فى سناك المطهر المستطاب
غزلا للهوى به ومضيات … مثل ومض الضحى على الاعشاب
نقطع الليل فى رجاوة لقياك … وندعو بابعد الاسباب
وكان السماء تصغى الى النجوى … وصمت النجوم جد عجاب
وكان الصبا تراوح منها … خفقات ملأن أفق الروابى
ما لهذا الظلام يفهم نجواى … ويبدو كانه متغاب ؟
اسقياني من خمرة الامل المنشود … فى منزه فسيح الرحاب
اسقياني فان ظفرت بسر … فسكوتى عن الجواب جوابى
التمست الرضا فلا باس ان القاه … بين السهود والاوصاب
ورجوت الذى تذوق به روحى … سلافا تسمو على الاعناب
ونشدت الهوى يظلل احلامى … فياسو براحة الحب ما بى



للاستاذ الشاعر :
العوضي الوكيل

الى حبيب الله

لك يا حبيب الله خير تحية ... وعلى سناك من القلوب سلام

فاءت اليك الروح بعد ضلالها ... وهفت الى انوارك الاحلام

مثل الشجاعة والبطولة والحجا ... والحزم .. لو يتدبر الاقوام

جاهدت فى الرحمن حق جهاده ... فسما بعز جهادك الاسلام

* * *

ولقد دعانى نحو أرضك هاتف ... عذب الهتاف كانه انغام

تتلهف الاشواق بين جوانحى ... ويمر عام بالرجاء وعام

ويكاد يعصرنى الحنين لروضة ... فيها الحجيج الى ثراك زحام

يا نعمة الله الكريم لخلقه ... بى لهفة مشبوبة وهيام

ان همت فى هذا الجلال وقدسه ... وبهاه فالعشاق قبلى هاموا

لم أمتدح يوما سواك وانه ... ابدا لشدوى فى الزمان وسام

* * *

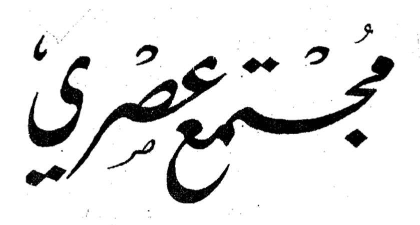
يا رب بالهادى الامين وبالكتاب ... القدس قد عزت به الايام

صلنا بحبلك انه الحبل الذى ... لا يعتريه على الزمان فصام

وابعث لنا من نور وجهك رحمة ... تسقى كما سقت الرياض غمام

وامسح جراحات النفوس براحة ... جرح النفوس بلمسها يلتام





للأستاذ : محمد جلال كشك

عندما روعت الجماهير العربية بالخـامس من يونية .. وما جرى فيه ، ذلك الذى وصفته صحيفة كبرى بأنه نصر حققته اسرائيل ، نصر لم يسبق لـه مثيل فى التاريخ .. ولا يمكن أن يجود الزمان بمثله فى مستقبل الأيام ..

وعندما أطلت الجماهير العربية على جيش أذلاء الأرض يعربد كيف شاء فى أرض ثلاث دول عربية ، تعدادها يصل الى عشرين ضـعفا من تعـداد اسرائيل ..

عندما روعت بهـذا الذى فاق كل تخيل وتخطى كل تحليل .. كان من الطبيعى أن تفتش عن جواب وان تتساءل عن تفسير لهذه القارعة ! .

وعرفت الجماهير الجواب .. بفطرتها الصادقة ، وغريزتها التى لا تخطىء .. فأمتنا لا تجمع على باطل أبدا .. شهد لها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان تثبت النظريات وعبرة التاريخ ، وقبل أن يكتشف دعاة الديموقراطية ان الشعوب على حق دائما ..

اعلنت الأمة رأيها واضحا لا غموض فيه ، عندما صفقت وهتفت للاشارة الى القيم الدينية فى احتفال ٢٣ يوليو الأخير ، تصـفيقا من نبضـات القلب وصحوة الضمير ومرارة عجز القادرين على التمام ..

ان هذه الاشـارة التى نبهت كل من كان له عقل يفقه به ، قد أكدت ان فطرة الجماهير سليمة ، وان مؤامرات التشويه والافسـاد التى تكالبت عليها بتحريض الاستعمار والصهيونية وتمويلها وتدريبها وتدبيرها .. قد بـاءت بالفشل ، فلم تفسد غرائز الجماهير ، ولا شوهت فطرتها ، فما زالت مسلمـة مؤمنة صادقة فى اسلامها ، واعية بما يدبر لها ، تهفو بقلبهـا لمن يستصـرخ اسلامها .. لمن يعرف أن الطريق الوحيد للخلاص يبدأ بقولة : لا اله الا اللـه محمد رسول الله ..

ولكن .. ذلك الذى حدث فى الخامس من يونية .. لم يكن مصادفة ، وان كان اعجب من المصادفة ، ولا كان ضربة حظ جاءت عفوا ، وان فاقت كمـا قال الاسرائيليون أقصى أحلامهم .. وما كان بالحادث العارض ، الذى أفضت اليه أحداث الأيام أو حتى الاسابيع والشـهور التى سبقته .. بل هو يوم موقوت ، وحلقة جاءت فى موضعها الذى رسم لها ، ضمن سلسلة طويلة من الأحداث ، نفذ بعضها ، ويعد لتنفيذ بعضها الآخر .. من أجل مخطط رسم له واعده شر استعمار عرفته الدنيا .. استعمار الرأسمالية اليهودية العالمية التى تسـمى

السيطرة على العالم ، من خلال السيطرة على الوطن العربى ، قلب الكرة الأرضية ومركز السيطرة الاستراتيجى على العالم ..

ولكى يأخذ الخامس من يونية مكانه المرتجى ضمن هذا المخطط فلا بد أن يتحقق هدفان :

● أن تزيف على الأمة العربية عبرة هذا الحدث ، فتمنع بكل وسائل التضليل من استخلاص الجواب الصحيح الذى يمكنها من مواجهة التحدى المصيرى الذى تكشف فى ذلك اليوم المشئوم ..

● أن يدلس على الأمة العربية ، فتقدم لها تفاسير مضللة ، لكى تساق الأمة العربية فى متاهات جديدة من الضلال تجرها الى خامس جديد ، والى المديد من ذلك .. حتى يبلغ المخطط الصهيونى غايته ..

ولا شك أن أعداء أمتنا قد روعهم اكتشاف الجماهير واعلانها ان الحل هو الدين .. لذلك فقد سارعوا بما يملكون من وسائل دعاية وتضليل الى تزييف التفسيرات .. وسرعان ما سقط بعض المخلصين .. وغيرهم فى شراك هذه التفسيرات .. فسمعنا بحكاية المجتمع العصرى .. وضرورة أن نصبح مجتمعا عصريا ان شئنا ان نغلب اسرائيل ، وأن الهزيمة ترجع الى اختلاف مستوى التعليم بين العرب واسرائيل ! ..

لم تكن محتومة !

واول ما يتبادر الى الذهن ، انه بطرح القضية على هذا المستوى ، يعنى اننا نحول الهزيمة الى قانون طبيعى ، ما من سبيل الى تفاديه ، وأن هذا القانون سيظل يعمل لفترة طويلة من الزمن ، حتى نصبح مجتمعا متحضرا عصريا .. والقضاء على الأمية ، مجرد محو الأمية فى الوطن العربى ، يحتاج لعشرين عاما على الأقل .. فما بالك ببناء مجتمع عصرى فى مستوى أوروبا وأمريكا ؟ !

هذا التفسير (المجتمع العصرى ؟ !) يجعل من الهزيمة قدرا محتوما ويحمل التخلف وحده مسئولية ما جرى .. وانتظروا يا عرب حتى يسوق الدبابة مهندس ! ..

بل بالعقيدة

والخطورة الحقيقية فى هذا التفسير ، تكمن فى انه يحاول ان يضلل الجماهير عن القضية الرئيسية ، قضية العقيدة .. الدين ..

فليس ثمة خلاف على أهمية الآلات ، ولا أظن ان مجتمعا من المجتمعات لا يعرف أهمية أن تكون لديه طائرات ودبابات من أحدث طراز ، حتى ولو لم يبذل أى جهد فى امتلاكها .. وشهد الله وشهد التاريخ أن الجماهير ما بخلت بشىء فى سبيل أن تمتلك ، وما رفضت يوما أن تتعلم ..

ولا نظن أن الجنس البشرى بحاجة الى من يعلمه فضل التكنولوجيا ، وأهمية المخترعات الحديثة .. وليس فى العرب اليوم من يفضل الحمار على السيارة .. أو (لمبة الغاز) على المصباح الكهربائى .. ولو كان لثوار فيتنام من سبيل الى قنبلة ذرية .. لدفعوا فيها ملايين من أرواح شعبهم ..

لماذا اذن هذا الجدل ؟ وأين هو الكشف العبقرى الذى اكتشفوه .. وهل كنا بحاجة الى مثل هزيمة ٥ يونية لنكتشف أهمية العلم ؟

وما الذى حال بيننا وبين « العصرية » طوال هذه السنوات ؟ وهل عرفنا

من العصرية ، الا منع الطلاق وتعدد الزوجات ، وانشــــاء الفرق الراقصة ، والهوس في النقاش حول الاختلاط في المدارس كأنها قضية مصيرية ؟ !

لماذا لم ننتبه الى أن « المجتمع العصري » في اسرائيل الذي اكتشــفوه فجاة ، يحرم الزواج المدني ، وتلقى الجماهير فيه الأحجــار على من يعمل يوم السبت .. لماذا لم ينتبهوا وهم ينشرون ساخرين في الصحف العبرية هذا الخبر الذي انقله بحروفه من جريدة عربية :

(العقيدة اليهودية

(في جنازة تشرشل !

(لندن ـــ ا.ب ..

اضطر شازار رئيس جمهورية اسرائيل (٧٦) سنة وبن جوريون (٧٨ سنة) الى السير مشيا على الأقدام مسافة ميل ونصف ميل ، وذلك أثناء تشييع جنازة تشرشل امس الاول حيث وافق اليوم الذي تحرم فيه الديانة اليهودية على اليهود استخدام وسائل النقل ..)

الصحيفة اكتفت بوضع علامة تعجب .. ربما من قلة « العصرية » في زعماء اسرائيل .. والى الآن لم يحاول أحد ان يفسر لنا هـــذا اللغز .. كيف يكون هؤلاء الزعماء غير العصريين ، المتدينين ، يديرون مثل هــــذا المجتــمع العصري ؟ ! ولماذا كتب علينا وحدنا أن نتنكر لديننا ان شئنا أن نصبح عصريين ؟

هل ديننا من طراز اقدم من اليهودية .. يا أولى الالباب ! ..

لا .. بل لأن الذين وضعوا المؤامرة الصهيونية قد عرفوا ومنذ سنوات ان « شعب اسرائيل » لم يحافظ على السبت فحسب ، بل ان الســـبت هو الذي حافظ على شعب اسرائيل (١) .

وما دام البعض قد اختار ان يتعلم من اسرائيل .. فلماذا لا يحســـنون الاختيار ..

لقد تحدث بن جوريون أخيرا عن دروس الخامس من يونية ، فماذا قال ؟

« **لقد كان من نصيب شعبنا دائما ان يقف كاقلية امام الاكثرية ، ولذلك ذكر انبياؤنا** (لم يخجل بن جوريون من الاستشهاد بأنبياء بني اسرائيل .. ولا يرى في ذلك ما يتنافى مع العصرية !) **منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة .. « انكم اقل الشعوب جميعا » .. ولذلك يجب على شعب اسرائيل ان يكون شــــعب قدرات وتفوق من الناحية الروحية ، بحيث يستطيع ان يقف بعظمته امام شعوب اكبر منه ، وبدون التفوق الروحي لم يكن شعبنا يستطيع ان يبقى الفى سنة ، ولا استطاع احياء وطنه »** .

هـــذا ما قاله بن جوريون .. فهل يعنى ذلك أن بن جوريون ، درويش مجذوب ؟ .. وهل صحيح أن اسرائيل بعد الحرب لم تستورد طائرات ومدافع ودبابات ؟ .. هل أوقفت اسرائيل التعليم وعكفت على تلاوة التوراة عند حائط المبكى تنشد التابوت الذي ضاع ! ..

لا .. بن جوريون سفاح أشر ، يعرف جيدا اهمية المدافع والصواريخ .. وضرورة ضرب مدرجات الطيران قبل ضرب الطائرات ، ولا يترك صـــغيرة في التقدم العلمي الا استغلها ، ولكنه أيضا .. بل وأولا ـــ يعرف كيف تأتي المدافع والصواريخ .. وكيف تنطلق فتصيب .. وبماذا تنتصر ؟ ! .. يعرف أنها تنتصر بالقيم الروحية وحدها ..

بالايمان يدفع اليهودي ويتبرع .. ويخترع ، ويسرق الاختراعات .. ويتحمس ويموت .. وبالايمان يقاتل ..

---

(١) من كلمات « اهاذها عام » فيلسوف يهودي وصهيوني ١٨٩٨ .

وما ابشع أن يصدف الناس عن اللحم الطازج ويعكفون على مضغ المنتن ! ..
ما اعجب أن تعمى قلوبنا عن تاريخنا ، فلا نستخلص منه العبرة والتجربة .

فعندما خرج الحفاة العراة ، رعاة الشاء من الجزيرة العربية يدكون ملك كسرى ، ويجبرون قيصر على القاء نظرة كسيرة على سوريا ، وهو يقول : وداعا يا سوريا .. وداعا لا لقاء بعده ..

هل كان العرب متفوقين تكنولوجيا على فارس وروما .. ؟ ! هل كان المجتمع الاسلامي بالمقاييس المادية اكثر عصرية وتمدينا من المجتمع الروماني بكل حضارته وعلمه ومدنيته ؟ . ام كان اكثر تقدما وتفوقا على عرش فارس ومدنية الفرس ، وعلم الفرس ، وصناعة الفرس ؟ ..

لا .. فالعربي الذي أسر ابنة كسرى ، افتدوها منه ، فطلب الف درهم ! .. قالوا لو طلبت مائة الف لدفعنا .. رد العربي المنتصر .. كنت أحسب أن الالف نهاية العدد !

وحكى عبيد بن جحش السلمي ، قال : (لقد رايتنا وانا لنطأ على ظهور الرجال ، من جيش الفرس ، ما مسهم سلاح ، قتل بعضهم بعضا ، ولقد رايتنا اصبنا جرابا من كافور ، فحسبناه ملحا لا نشك انه ملح ، فطبخنا لحما ، فجعلنا نلقيه في القدر فلا نجد له طعما ، فمر بنا رجل معه قميص فقال يا معشر العرب ، لا تفسدوا طعامكم فان ملح هذه الأرض لا خير فيه ، هل لكم أن تأخذوا هذا القميص ؟ فأخذناه منه وأعطيناه منا رجلا يلبسه . فجعلنا نطيف به ونعجب منه ، **فلما عرفنا الثياب** (تأمل) ! ، اذا ثمن ذلك القميص درهمان) .

بهؤلاء الذين لا يعرفون في العدد اكثر من الف .. والذين لا يعرفون الكافور من الملح .. والذين ما كانوا قد عرفوا بعد الثياب .. انتصر الاسلام ، ودك ملك كسرى ، وانتشروا يحكمون الأرض من البحر الأبيض المتوسط الى اواسط آسيا .. أفكان نسبة هؤلاء للحضارات العريقة المحيطة بهم .. اقرب من نسبة الفلاح العربي للجندي الاسرائيلي ؟ ..

فلماذا انتصر هؤلاء .. وعجزنا نحن ؟ . لأن العرب الأوائل كان معهم الايمان .. فقهروا به الدنيا ..

لقد فاجأهم الفرس بسلاح ما عرفوه ولا جربوه .. الفيل .. حتى انه لما جيء به الى المدينة بعد ذلك .. طافت به النسوة متعجبات ، وهن يقلن (هذا من صنع الفرس) !! ولم يصدقن أنه من مخلوقات الله ! .. ظنوه آلة او حيلة فارسية ؟ ! .

ومع ذلك لم يجبنوا ولا فروا أمام الفيل ..

يروى الطبري (ولما رأى سعد الفيلة تفرق بين الكتائب ، ارسل الى اولئك المسلمة وأصحابهم من الفرس الذين اسلموا فدخلوا عليه ، فسألهم عن الفيلة ، هل لها مقاتل ؟ فقالوا نعم ، المشافر ، والعيون لا ينتفع بها بعدها .. فأرسل الى القعقاع وعاصم ابني عمرو : اكفياني الأبيض ، وكانت كلها آلفة له ، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمين لينين ودبافي خيل ورجل فقالا : اكتنفوه لتحيروه ، وهما مع القوم ، فلما خالطوهما اكتنفوهما ، فنظر كل واحد منهما يمنة ويسرة ، وهما يريدان ان يتخبطا والفيل متشاغل بمن حوله ، فوضعا رمحيهما معا في عيني الفيل الأبيض ، فقبع ونفض راسه ، فطرح سائسه ، ودلى مشفره فنفخه القعقاع ، فرمى به ، ووقع لجنبه ، فقتلوا من كان عليه .. » .

ما الذي يدفع القعقاع وعاصم الى مواجهة الفيل الذى ما عرفوه ولا قاتلوه .. بالرماح .. وكيف تقوى اعصابهما الى حد أن يضعا معا وفي وقت

واحد الرمح فى عينى الفيل ! .. وفوقه عشرون مقاتلا ؟ ! ، وما الذى يجعل القعقاع وعاصم اليوم يغادران دبابة زنة ستين طنا من الصلب لو آوى اليها ابن نوح لعصمته من الماء والنار .. الا من أمر الله ..

لماذا .. لأن تعقاع الأمس كان يملأ قلبه الايمـان فقهر ايمانه الفيل .. وقعقاع اليوم بلا عقيدة .. ولو استتر بألف طن من الصـلب لما حمته ولا أمن لها .

كانت روما سيدة البحار بلا منازع ، وكان البحر الأبيض بحيرة رومانية حقا وصدقا .. من سيطرة كاملة على الشـواطىء جميعها الى التفرد بامتلاك الأسطول الوحيد العامل فى هذه المياه .. وعمر بن الخطاب .. قاهر روما .. لم ير البحر ، ولا ركب سفينة فى حياته .. بل يطلب من فصـيح أن يصف له البحر ، فيصفه بعبارات بليغة ، تفزع عمر رضى الله عنه ، شفقة على رعيته .. فيقسم الا يحمل المسلمين عليه ابدا ..

ومع ذلك طردت روما ، من شواطىء البحر الأبيض .. وما تـكاد تمضى سنوات ، حتى يكون للمسلمين الأسطول الأقوى ، وحتى ينزلوا بروما هزيمة بحرية ساحقة فى موقعة ذات الصوارى التى لا تقل أهمية عن موقعة الارمادا .

ماذا كان يملك العرب .. لا شىء سوى العقيدة « التفوق الروحى » .. الاحساس بأنهم يقاتلون من أجل قيم أفضل ، ونظرة للوجود .. للانسـان .. للحياة .. أفضل من نظرة خصمهم وأحق بأن تنصر ..

انظر الى قيصر يرسل جاسوسا الى معسـكر المسلمين يتجسس له ليعرف سر انتصار هؤلاء الحفاة الذين صبروا عليهم فى حصـار حمص وقالوا هؤلاء الحفاة اذا جاء الشتاء .. تجمدت أقدامهم وانهزموا .. فما راعهم الا انهم أكثر ثباتا على الصقيع منهم فى نعالهم الثقيلة وملابسهم الغليظة ! ..

يروى الطبرى نقلا عن شيوخه .. أن قيصر بعث جاسـوسه فعاد اليه بصفة المسلمين قال : « بالليل رهبان .. وبالنهار فرسـان .. ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رجم ، لاقامة الحق فيهم » .

لا أريد أن أناقش الجانب التاريخى من الواقعة ، فربما بعث قيصر ، وربما لم يبعث ، ولكن القصة تعكس فهم المسلمين لسر انتصارهم .. انه أبدا ليس التفوق التكنولوجى .. بل التفوق الروحى ..

بالعقيدة .. بها انتصروا .. وتعلموا .. وصنعوا واخترعوا .. وأثروا التاريخ البشرى ..

نقطة البدء فى كل حضارة هى .. العقيدة .. هى القيم الموجهة للجماهير .. هى الأفكار التى توجه سلوك قيادتها ..

والذين تسمموا بالغزو الفكرى ، يظنون انه مما يتنافى مع التقدم الآلى ان يتمسك المرء بدينه .. ناسين أن الباب المفضى الى المخابرات الامريكية منقوش عليه آية من الانجيل (١) .. وان أول دبابة اسرائيلية دخلت سيناء كانت تحمل نصا من التوراة ! ..

يستخلصون لنا من أحداث الخامس من يونية .. عبرة التكنولوجيا .. ثم لا يتساءلون ما الذى جعل هذا المجتمع الذى يضم أخلاط الشعوب أكثر وحدة وأكثر تماسكا وأكثر اصرارا على الباطل ، وأكثر قدرة على انجاز التكنولوجيا والتفوق الآلى ..

لأن شازار وبن جوريون يرفضان ركوب سيارة فى لندن يوم السبت لأنه محرم فى الديانة اليهودية !

---

(١) من كتاب الحكومة الخفية .

وعندما اقترح احدهم يوم الثامن من يونية أن يلغى الاحتفال بالمولد النبوى حتى لا يتعطل المجهود الحربى .. ! صحيح أن اقتراحه قد رفض ، ولكن مجرد الاقتراح يكشف طبيعة التفكير العصرى الذى قادنا الى ما صرنا اليه ..

ويقول مؤســـو الصهيونية :

« الحياة الدينية اليهودية هى دون سواها سر خلود اسرائيل ، وسيظل اسرائيل خالدا طالما بقى متعلقا بالتوراة ، فاذا هجر اسرائيل التوراة ، اندثر تاريخه فى رمال الصحراء ولو ظل مقيما فى أرضه وبلاده » .

ويقول شختر « ان نهضة اسرائيل القومية واحياء الدين اليهودى امران لا ينفصلان » .

ونحن تركنا من يتطاول على قرآننا ، وامكن أن يطبع فى بلد عربى مقال فيه سب لله سبحانه وتعالى قبيل النكسة بأيام ! ..

العصريون فى بلادنا كانت لا تشغلهم مشكلة مثل مشكلة اللغة العربية ، اللغة الحية العريقة ، التى تنفرد وحدها دون لغات العالم أجمع باتصـــالها الثقافى .. فأنا أقرأ وانقل لكم من كتاب الطبرى عبر الف سنة أو تزيد ! .. ما تغير فيه حرف ، ولا صعب علينا فهم جملة ! .. أمة بهذا الاســـتمرار وهذا الاتصال ، تجعل لغتها هدفا للسخرية ، ومحاولات العامية ، وادعاء صعوبتها وتخلفها ..

أما فى اسرائيل فهم يقولون : « طالما سنظل يهودا وطالما ســـننادى بأن التوراة كتابنا يجب أن نقدس اللغة التى كتبت بها تقديسا لا حد له » .

« الذين يبعدوننا عن اللغة العبرية يضمرون الشر لشـــعبنا ومجـــده الخالد (١) » .

اسرائيل احيت من الحفريات ، لغة انقرضت منذ ٢٠٠٠ سنة ، وسمت كل منشآتها بها .. « كنيست .. كيبوتيزم .. هستدروت » كل المصطلحات التى لم تسمع بها العبرية قبل أن تختفى من الحياة ، نحتت لها الألفاظ العبرية ، بل وتشترط اسرائيل على كل مهاجر اليها أن يتخلى عن اســـمه القديم ويتخذ اسما عبريا أو « يعبرن » اسمه ..

وشمويل يوسف عجنون ، يكتب بالعبرية ويصفها بأنها لغة الله .. ويتقدم بها للحصول على جائزة نوبل ويفوز بها ..

هل حالت العبرية التى تدرس بها اسرائيل فى معاهدها دون دراســـة الطب والذرة والصواريخ ومعادلات الشفرة وحلها ؟ ! ..

هل العبرية لها فى العلوم تاريخ أعرق أو أحدث من العـــربية .. لماذا يتوقف العصريون عندنا وحدنا ويصرون على أن العلوم لا يمـــكن أن تدرس بالعربية ويحذروننا من التخلف .. فزادهم الله تخلفا ؟ ! ..

ليس الخلاف يا قوم — اذن — على الآلات ، فلا بد من امتلاكها ، بل على الروح التى تمكننا من امتلاك الآلات ..

الروح التى تمكننا من ادارة هذه الآلات وصنع النصر بها ..

يقول بن جوريون فى عام ١٩٤٩ : « كل ما يجىء به العلم الحديث ، لا يكفى وحده ، ولن تكون الكلمة الأخيرة للدبابة ولا للمدفع أو الطائرة المقاتلة لكسب الحرب ، انما تكون للانسان الذى يسخر هذه الوسائل لارادته » .

وقال فى نفس الخطاب أمام الضباط المتخرجين من الـــكلية الحربية : « سنفوز على العرب بفضل تفوقنا فى القوة والخلق والعقل ، ان جيشنا الذى

---

(١) جوزيف موريس .. يهودى انجليزى ١٩٠٧ (من كتاب الفكر اليهودى) .

شاءت الظروف المادية ان يكون جيشا صغيرا ، سيكون فى المستقبل فى طليعة الجيوش الممتازة سواء من الناحية التقليدية الروحية أو الصناعية الفنية » .
اليهود الذين عبدوا عجل الذهب .. عندما ارادوا أن يبنوا دولة ، ويقاتلوا .. عرفوا قيمة القيم الروحية ..
اليهود الذين لا تاريخ حقيقيا لهم كأمة .. جعلوا من توراتهم التاريخ الذى يتعصبون له ، ويستصرخونه وقت الشدائد ، ويبنون له مستقبلا ..
اليهود الذين اندثرت لغتهم ، اعادوا بعثها ، وفرضوها على العالم ، ونالوا بها جائزة نوبل .
لأن الصهيونية تعرف انه لا يمكن اقناع اليهودى الامريكى بمغادرة واشنطن والهجرة الى صحراء النقب .. من أجل العيش فى مجتمع عصرى ! .. وانما يهاجر اليهودى من امريكا حيث كل شىء عصرى ، الى فلسطين بدافع العقيدة الذى يتسمم به ، وبحمى العقيدة هذه يقاتل ، ويبنى مجتمعا عصريا ، ويصبر على التخلف فيه ..
وبعد :
فنحن لا نهون من شأن الآلات ، ولكن نركز على حقيقيتين :

● انه بالنسبة لمجتمعنا الذى يخرج من مرحلة تخلف قاسية ، تصبح فلسفة استسلامية تلك التى تعلق استقلالنا الوطنى ، وقدرتنا على مقاومة الغزو الاسرائيلى المتبجح ، تعلق ذلك على تفوقنا التكنولوجى على اسرائيل والغرب الذى يساند اسرائيل !!
ان معنى ذلك ، تقبول المذلة لسنوات عديدة ، بل اننا نرى أن رفض الاستسلام والاصرار على القتال هو بداية التطور العلمى والفنى للدول العربية .. ونرى أن حساب القوة ، بحساب التكنولوجيا .. هو حساب مقبول بين الدول المتقدمة : كم صاروخا لدى كل منها .. ومدى كل صاروخ .. ولكنه فى حالتنا نحن ليس بالعامل الحاسم ، لأننا ما زلنا نستطيع أن نسحق اسرائيل بتفوقنا البشرى ، شرط أن يحرك هؤلاء البشر ، عقيدة حقيقية ، كتلك التى حركت المسلمين الاوائل ، فيقتنع المقاتل العربى أن الاستشهاد ينقله الى دار اعز واكرم ، فيصبح أحرص على الموت من حرص خصمه على الحياة .. عندئذ .. وعندئذ فقط تكتب لأمتنا الحياة ..

فنحن نرفض هذه النظرية التى تحكم على الحرب من مجرد حساب الفرق التكنولوجى بين مجتمعين .. والا لما خافت روسيا ، فى الوقت الذى قاتلت فيه فيتنام .. ولما هزمت فرنسا من الجزائر .. ولا سقطت من قبل روما وفارس تحت ضربات العرب المسلمين .. وقد كان عرب الأندلس أكثر تفوقا فى الحضارة المادية من كاثوليك اسبانيا ، وهزمهم المتخلفون لأنهم كانوا الأكثر حمية لعقيدتهم . بينما دق الأتراك العثمانيون أسوار فينا ، وما كانوا قد عرفوا من الحضارة شيئا كبيرا .. ولكن لأنهم كانوا أكثر تعصبا لعقيدتهم .
أما عندما تتخلى الأمم عن عقائدها ، فالنصر يصبح حينئذ للآلة الأقوى .. فان جمع خصمها بين التفوق فى الآلات والايمان بالعقيدة .. اية عقيدة .. عندئذ يهزم أصحاب العقيدة الفاسدة ومن لا عقيدة لهم ..
● النقطة الثانية : أن التقدم الحضارى ليس مجرد قرار يتخذ .. أو مرسوم يصدر باستيراد الحضارة .. هذه هى مأساة التفكير المنحرف الذى ظن أن التقدم يتحقق باستيراد الآلات والنظم .. لا .. التقدم هو انقلاب فى صميم تكوين المجتمع .. وفوق أرضه ، ومن مكوناته الذاتية ..
وما من سبيل الى خلق الدفعة التى تسوق المجتمعات فى طريق التنمية ،

الا من خلال عقيدة كفاحية تسيطر على المجتمع وتوجهه ، وتطلق كل امكانياته . .
ما الذى يجعل الفرد القادر ينفق أمواله على تقدم المجتمع بدلا من انفاقها على التمتع برفاهية التقدم المستوردة ؟ لا بد من فلسفة تربط المجتمع كله وتوجهه فى طريق التضحية والبناء . .
ولا نريد هنا أن نناقش الأسباب التى تجعل من الاسلام هو وحده العقيدة القادرة على اطلاق طاقات الأمة العربية . . ولكن يكفى أن نستقرىء التاريخ ، فما من مجتمع متخلف عبر التاريخ كله استطاع أن يحقق الانقلاب الآلى ، ويصل الى مجتمع الأقوياء من خلال اعتناق فلسفة المجتمعات المتقدمة . .
أبدا . .
العرب بدءوا برفض عقيدة وفلسفة ونظام حكم المجتمعات المتقدمة حولهم . . حتى كان من تعبيرات النقد والسباب عندهم أن يوصف نظام الحكم أو السلوك بأنه « قيصرية أو كسروية » . . فلم ينادوا بالاقتداء بهم ونقل نظامهم ليصبحوا أغنياء ومتحضرين مثلهم ! انهم لو فعلوا ذلك لما عرف العالم شيئا يسمى الحضارة الاسلامية . .
والحضارة الغربية ، رغم كل ما تعلمته واقتبسته من المسلمين ، قامت على أساس رفض العقيدة الاسلامية ، واختراع صورة بشعة للشرق . . حتى أصبح من المصطلحات المتعارف عليها فى القاموس الايدلوجى للغرب . . « الاستبداد الشرقى » . . « الحاشية الشرقية » « الحريم » . . « الخضوع » . . « القدر » . . الخ من الأكاذيب . .
روسيا لم يمكنها أن تحقق التقدم الصناعى ، الذى انجزه الغرب قبلها . ولا كان بوسعها أن تفرض نفسها على العالم كدولة كبرى . . الا برفض ايدلوجية الغرب وقيمه ، واعتناق نظرية تبشر بانهيار الحضارة الغربية ، وتدينه بكل موبقة ، ثم تحولت هذه النظرية على يد لنين وستالين الى عقيدة روسية خالصة .
وواجهت الصين هذه المشكلة . . فقد كان يمكن لها فى ظل اعتناق فلسفة ونظم الغرب الرأسمالى أن تحقق تقدما بطيئا كذلك الذى تحققه بعض الدول المجاورة لها . . وكان بوسعها أن تحقق معدلا أسرع فى ظل الفلسفة الشيوعية الروسية . . ولكن الصين ، لأنها تريد انجاز المستحيل ، وتصر على أن تصبح دولة كبرى خلال سنوات قليلة ، تعتقد أنها الفسحة التى تنتزعها من خصومها قبل أن يهجموا عليها . . لذلك لجأت الصين الى الطريق الوحيد الذى يحقق التفوق الآلى . . وهو الاستقلال الروحى . . فانفصلت عن الغرب والشرق ، وقطعت كل تبعية روحية لها بالمعسكرين . . واصطنعت لها نظرية خاصة وفلسفة خاصة تكون فيها أمام شعبها رائدة لا تابعة . . فالتابع روحيا لا يحقق تفوقا ماديا . .
فلا سبيل أمام مجتمع متخلف ينشد الانقلاب الصناعى الا اعتناق فلسفة خاصة ، وعقيدة خاصة مستقلة . .
فابدءوا بالعقيدة ، قبل أن تتحدثوا عن العصرية . .
واذا كان الجميع يعترفون اليوم بأن ما طرح بيننا من وسائل ايقاظ القوى المعنوية لم يثمر ثمرته المرجوة .
فان من حق الأمة العربية أن تطالب اليوم وتقول : التفتوا هنا . . فان هذه الأمة لا يصلح آخرها الا بما صلح به أولها . . عودوا . . الى الاسلام . . وامنحوا الجماهير عقيدة تقاتل تحتها . . وتنتصر من أجلها وبها . .

محمد جلال كشك

كان ذلك منذ ١٣٥ بعد الميلاد .

نحن اليوم فى سنة ١٩٦٧ بعد الميلاد ، وانا لنجد دولاب الدهر يدور حاملا فى الخامس من شهره السادس القرار للتائهين ، والفرار لأبناء فلسطين المستقرين ، واذا باليهود الذين تقرحت أجفانهم من طول البكاء ، يمسحون دموعهم بالخناجر التى ضرجوها بدماء المسلمين ، ويهرعون الى الحائط بأهازيج النصر ، بعد ان كانوا لا يستطيعون بلوغه الا مسربلين بعار المذلة والخسر ، بينما امتنا المسلمة ، فى عربها وعجمها ، التى ما عرف بنوها على مر السنين بكاء ، ولا نواحا ،تتحول فى مدى أيام تلائل الى اشباح ذليلة ، تتسكع على ابواب الأمم ، تسأل هذا القائد ، وذلك الرئيس ان يعيد لها الأرض السليبة ، بما فيها القدس الحبيبة من اجل عيون مبادىء الأمم المتحدة ، والقوانين التى وضعت لاجارة المستضعفين من بغى المعتدين ! ! !

يا له من موقف ما كان لنا ان ننتهى اليه لو كنا صادقين ! ! !

وانا اليوم لنتساءل فى لهفة جازعة :

— هل جفت دموع اليهود لتفيض من عيون المسلمين الدموع ؟ !

لقد جعل اليهود من اطلال سور بقى من هيكلهم الذى دنسوه يوم بنوه بالرذيلة والخنا ، حائطا للبكاء طوال مدة بدات سنة ١٣٥ ميلادية ، وانتهت فى منتصف سنة ١٩٦٧ ميلادية .

فهل رضى المسلمون ان يستحل هؤلاء المسجد الاقصى الذى جبله بالطهر آباء لهم واجداد كرام ؟ وان يستديل انتقاضا تغيب تحت حطامها كلمة الله الخالدة فى أولى قبلتيه وثالث حرميه ؟ !

أيها المسلمون فى مطالع الشمس من الأرض ومغاربها تحت كل سماء وفوق كل تراب :

ان امجاد آبائكم فى الأيام الخالية ، وآمال ابنائكم فى الأيام الآتية ، تتطلع اليكم ، ومعها مقدسات تراثكم فى فلسطين ، وللجميع نداء واحد ، صادر من اعماق الثرى الذى توسدته أرواح الضحايا من شهداء الاسلام وابطاله ، عبر الأجيال والقرون .

انه نداء الشهيد المجهول من اجل الاسلام والمسلمين من اجل المقدسات فى فلسطين :

فاما حياة تسر الصديق

واما مماة يغيظ العدا

ونفس الشريف لها غايتان

ورود المنايا ونيل المنى

الانسان العربي
بين الجاهلية والاسلام

للاستاذ : محمود استانبولي
« دمشق »

عاش الانسان العربي قبل الاسلام في جاهلية عمياء ، وفي ظلمات بعضها فوق بعض ، فكانت العصبية القبلية على اشدها ، شعارها : « أنصر أخاك ظالما او مظلوما » بمعناها الضيق البغيض ، فكانت الحرب — على الرغم من ويلاتها — ملهى لهذا الانسان ، وسفك الدماء من أعظم الهياته . كما كانت الوثنية والخمر والقمار من ابرز مظاهر حياته .

وكان يعامل المراة معاملة سيئة فيعبث بها ، ويأكل حقوقها ، ويرثها كما يرث الدابة والمتاع ، بل يروح أيضا يكرهها على (١) الزنا — كما وصفه القرآن — ويأخذ أجرها . قال تعالى في النهي عن ذلك : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » .

وقد خضع الانسان العربي في الجاهلية للاستعمار الفارسي في العراق واليمن ، وللاستعمار الروماني في الشام ، في ابشع صوره واذل اشكاله .

وما كانت حال الانسان العربي في الحجاز بأحسن من حاله في الشام والعراق ، فكان شبه مستعمر للراسمالية اليهودية عن طريق الربا اضعافا مضاعفة حتى استولت على كثير من أراضيه ، علاوة على الفتن التي كانت تثيرها بين القبائل العربية لاشعال نيران الحروب بينها حتى كادت تهددها بالفناء .

انحراف وفراغ مخيف ..

هذا وصف مجمل للانسان العربي في الجاهلية الاولى . انحراف في العقيدة ، انحلال في الأخلاق ، فكان في طريقه الى الاحتضار والانتحار .

انا لنتصور هذا العربي المضطرب الضال ، وهو يضرب في صحرائه

---

(١) لا نعتقد ان ذلك كان يمثل ظاهرة عامةفي العرب حتى ندمغهم جميعا بهذا العيب ، وقد كانوا غيارى على محارمهم ، كما كانوايحترمون المراة وينزلون عند رايها بل ان من كبارهم من كان ينتسب الى امه ، وهذا لايمنع من وجود بعض الصفات التي ذكرها الكاتب في بعض الافراد كما في كل مجتمعما جعل القرآن الكريم يعني باجتثاثها لتطهير المجتمع الاسلامي تطهيرا كاملا . (الوعي)

على غير هدى ، حائرا من هذا الكون الذي يحيط به ، متصرا في استعمال طاقته على هذه الأرض ، لا يعرف كيف يحيى حياته ، او يستغل وجوده ، ولكنه يتمنى لو خرج من هذه الحيرة ، وجلا عنه هذا الظلام ، فما هذه الحروب التي كانت تشتعل دونما ادنى تفكير او وعي ، الا هربا من هذا الفراغ ، وقتلا للوقت الذي يحويه .. وما هذه العادات المتطرفة لدرجة القبح والشر التي المت بالعربي حينا من الزمن الا محاولة لقهر هذا الفراغ الذي لا يحصل ضمن أجوائه ادنى معنى للوجود ، واية غاية للحياة .

تصوروا هذا الانسان وقد أفرغ نفسه الا من تأملاته ، وجرد عقله الا من تفكيره الخاص ، وأبقى قلبه وروحه في صفاء غريب ، لا ينعكس عليهما الا احساسات حب عابر ، وتشوفات تأملية .. سريعا ما تتحول الى وجد وبكاء وذكرى ، واناشيد تصدح في الصحراء ، على السنة الحداة .. لم يزل صداها يرن في اعماقنا الى اليوم .

في رحاب الاسلام ..

تصوروه بعد هذه الشكوك التي المت به ، وبعد هذه الاضطرابات التي عصفت بشخصه ، وقد رأى امامه فجأة كل ما يريد .. وكل ما يشبع ميوله ونزعاته الى الحرية والجهاد والسمو .. ان المفاجأة لا شك قد اخذته ولم يستطع ان يصدق كل ما يرى ، فهب لمقاومته ، ثم وقف على شاطئه حذرا ، ثم اقترب رويدا رويدا ، حتى اذا اطمأن اليه وأنس له ، عب منه بامتلاء ، فأصبح الحياة التي تعاش ، والرسالة التي تخدم ، والمصير الذي يريد .

لقد كان العربي فارغا . فاذا بالاسلام يملؤه ، ويفيض من جوانبه ، واذا به يمنحه شخصية جديدة كل الجدة ، كانت شخصيته القديمة اساسا لها ، ويظل ثلاثا وعشرين سنة ، مدة البعثة ، في كفاح مرير وعلم مستزيد وتطور مستمر ، حتى ينتهي ذات لحظة الى ما يشبه الكمال ، وهو الذي تاقت نفسه للكمال المطلق ، بعد ان امتلأ هذا الامتلاء الثري بالاسلام .

ان اي شخص في العالمين وجد على الأرض ما استطاعت فلسفة أو عقيدة أو دين ان يعطيه عشر ما استطاع الاسلام أن يعطيه للعربي (1) .

من الضعف الى القوة ..

لما بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم واشرقت على هذا الانسان العربي شمس الاسلام ، انقلب شركه الى ايمان ، وانحلاله الى قوة ، وذله الى عزة ، فسارع الى تحرير بلاده من اليهودية في الحجاز ، ثم من الفرس والرومان في سورية والعراق ..

في طريق المجد ..

وتقدم بعد ذلك شرقا وغربا حتى فتح الهند والصين ، واسبانيا وقسما كبيرا من فرنسا .. كل ذلك بسرعة عجيبة ادهشت علماء الغرب فراحوا يطلقون على هذه الحادثة التاريخية اسم « المعجزة العربية » .

لم تقتصر مهمة الانسان العربي على هذا الفتح المبين بل انشأ دولة عربية امتدت حدودها من المحيط الكبير شرقا ، الى المحيط الأطلسي غربا ، وبلاد القفقاس شمالا الى اندونيسيا جنوبا ، وقد قامت هذه الدولة بأعظم نصيب في اشادة الحضارة ، بما قدمته من العلوم

---

(1) مأساة العربي المسلم ص ٤٢ — ٤٤

الرياضـــــية والطبيعية والكيميائية والفلـــكية والجغرافية ، على أيدى علماء ، ما زالت تدرس نظـــرياتهم وكتبهم فى الجـــامعات العلمية الى عصـــور متأخرة ، وكانوا من اعظم اســـباب يقظة الغرب والجيد من مدينته الحاضرة ، كما شـــهد بذلك كثير من علماء الغرب أنفسهم .

والفضل ما شهدت به الأعداء .

قال بريفولت فى كتـــابه « تيار الانسانية » :

« لقد كان العـــلم اهم ما جاءت به الحضارة الاسلامية على العـــالم الحديث .. ان ما يدين به علمنـــا لعلم المسلمين ليس فيما قدموه الينا من كشـــوف مدهشــــة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هـــذا العلم الى الثقافة الاســـلامية بأكثر من هذا : انه يدين لها بوجود نفســه .. » .

ثم ضرب الامثلة الكثيرة على فضل العرب والمســـلمين ولم يقتصر علماء الغرب المنصفون على الاشادة بفضل الانســـان العربى على المدنية ، بل راحوا يألمون لانتصار شارل مارتل علي عبد الرحمن الغافقى فى معركة بواتيه فى فرنسا .

يقول كلودفارير فى المقدمة التى كتبهـــا للترجمة الفرنسية من رواية العباسية اخت الرشيد تأليف جورجى زيدان « أصيبت الانســـانية والعالم الغربى عام ٧٣٢ بـــكارثة عظمى لم تصب بمثلها فى القرون الوسطى ، وبقى أثرها ظاهرا فى العـــالم مدة سبعة قرون أو ثمانية قرون ، ان لم يكن اكثر من ذلك لأن روح التجدد كانت يومئذ قد بدت للعيان ، حتى وقعت تلك الكارثة ، فكان من نتائجها تأخر سير الحضارة ، ورجوع العالم الى الوراء ، هذه الكارثة هى الانتصار المؤلم الذى أحرزه وحوش (الكاركا) من جيـــوش الأفرنج ، التى كان يقودها « شارل مارتل » ســـليل الكارلنجيين ، محـــاربا بها كتائب العرب التى لم يحسن عبد الرحمن جمعها وحشدها بالمقدار الـــكافى ، فكان ذلك سبب خذلانها وتقهقرها .

(فى ذلك اليوم المظـــلم تقهقرت الحضارة الى الوراء ثمانية قرون) .

ظهور الاسلام خاتمة العصـــور القديمة .

لم يقتصر الغربيون على الاشادة بفضل الاسلام على المدنية ، بل راح الأســـــتاذ (بيرون) يعـــلن فى المؤتمر الدولى للعلوم التاريخية الذى عقـــد بمدينة (أوســـلو) عاصمة النرويج فى ١٤ آب ١٩٢٩ دعـــوته التى أعلنهـــا فى المؤتمر الخامس الدولى ، الى اعتبار ظهور الاسلام هو خاتمة العصور القديمة ، وبداية ايقاظ الانســـانية فى أول عصورها المتوسطة حيث بدأت أوربا الغربية تكون مدنية جديدة وحيـــاة جديدة، يجب معها اعتبارهذا الحادث العظيم هو بداية الوسيط (١) .

مبادىء قوية .

وقد كان الانســـان العربى فى ظلال الاسلام ايجابيا يؤمن بالقـــدر كقوة للاندفاع والنضال والعمل ، فلا يخشى أحـــدا الا الله ، ويثور على التواكل وينكر الجـــبر ، ويعتقد أنه مسئول وحر ، كما يعتقـــد أن الله سخر له ما فى السموات والأرض اذا هو قام بدوره بحق .

---

(١) ومما يؤسف له أن جميع مؤرخينا ومؤلفينا بحكم فقدان الشخصية العربية وبحكم التقليد الاعمى للمؤرخين الغربيين المتعصبين لا يزالون يعتبرون انقسام الدولة الرومانية الى شرقية وغربية يتطرقون الى ظهور الاسلام كاعظم حادثة تافهة ولا يتطرقون الى ظهور الاسلام كاعظم حادثة تاريخية فى العالم كما ينادى المؤرخ العربى نفسه ! فيا لقلة الوعي وضعف الشخصية !!

أصغى هذا الانســـان الى النداء الالهى ، ومثل دوره فى ميدان الجهاد والحضـــارة أعظم تمثيل ، فدخل التاريخ بدور بطولى وقيـادى وتبوأ سدرة المجد ، والفخار والسؤدد .

صورة الانسان العربى المسلم .

وقد احببت بمناسبة الـكلام على الانسان العربى المســـلم ان انقل صورة رائعة من الوف صوره التى تمثل مبلغ قوة شخصيته وشجاعته ، واحتقاره للمظاهر الجوفاء ، ومبلغ فهمه لمبادىء الاسلام .

ارسل سعد بن ابى وقاص قبـل معركة القادسية (ربعى بن عامر) رسولا الى رســـتم قائد الجيوش الفارســية واميرهم ، فدخل عليه ، وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابى الحـــريرية ، واظهروا اليـواقيت واللآلىء الثمينة العظيمة ، وكان على رســـتم تاجه وغير ذلك من الامتعة الثمينة ، ليدهش الرســول وينقل اخبار عظمته الى المسلمين ليهابوه .

ودخل ربعى بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البســاط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، واقبل وعليه ســلاحه ودرعه ، وبيضته فوق رأسه .

فقالوا له : ضع سلاحك .

فقال : انى لم آتكم ، وانما جئتكم حين دعوتمونى ، فان تركتمونى هكذا والا رجعت .

فقال رستم : ائذنوا له .

فأقبل يتــوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها ..

فقال له رستم : ما جاء بكم ؟ .

فقال ربعى : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده .. ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام » .

ثم خرج ربعى وقد ملأ قلب قائد الفرس وجنده هلعا ورعبا ، بقوته المعنوية التى غرسها فيه الاسلام .

راحت العصـــور تمر ، ونجم الانسان العربى يتألق ، وجيوشـــه تهزم الأعـــداء فى كل المعارك ، واساطيله تشـــق عباب البحر ، وتستولى على الممالك ، ومدنيته تعم الخافقين .

مؤامرات الشعوبية .

وعلى حين غفلة ، اســـتيقظت الشـــعوبية الغادرة اللئيمة ، وقد ساءها مجد هذا الانســان العربى الذى ملأ الدنيا ، وشـــغل الناس ، وقضى على ملكها وجبروتها ، فأكل الحسد والحقد قلبها فراحت تنســج الخطط ، وتدبر المؤامرات ، وتحيك الدسائس على توالى السنين ، لم تمل ، ولم تهدأ ، فعمدت الى مصدر هذا المجد ، فعكرت نبع الاســـلام الصافى ، واثارت الفتن ، وحولت تياره القوى نحو الداخل ، بعد ما قهـــر امبراطوريتين مـــن اعظم امبراطوريات التاريخ .

تخدير المارد .

ولم تكتف هذه الشـــعوبية بكل ذلك ، بل اخذت تسعى لتخدير المارد العربى بســـموم الأوهام والبـــدع والخرافات وغيرها من المبـــادىء الوثنية الميتة ، وزهدته بالعـــلم والجهـــاد ، ورغبته بالخـــلوات المظلـــمة ، والتشرد بالـــبرارى والقفـــار ، وانشـــأت له الزوايا والتكايا بدلا من حلقات المعـــرفة والدراســـة ، ليخلد الى الكســـل والبطالة والفسق ، وزينت له عقيدة الجبر والخضـــوع ليستســـلم للأحداث ، وصرفته عن عبـــادة الله وحده مصـــدر قوته وعظمته ، الى عبادة الانبياء والأولياء ، فراح هذا الانسان العربى يرتمى على عتباتهم ، ويتمسح بتراثهم ، ويقدم لهم النذور والقرابين مستعينا بهم فى الملمات ، وفى قضاء الحوائج ، وقلبه يرتجف

خوفا وجزعا منهم .

هذا فى ميدان العقيدة ، اما فى ميدان العبادات ، فقد زينت هذه الشعوبية لهذا الانسان العربى التعصب المذهبى والتقليد الأعمى ، مما قضى على البقية الباقية من تفكيره وشخصيته ، فاتخذ شيوخه وائمته اربابا من دون الله ، يحللون له ويحرمون ، فبعد عن الاسلام وعن الله ، وهو يحسب انه لا يزال يعبده .

وكان من نتيجة بعده عن كتاب ربه وسنة نبيه ، انقسامه الى فرق وشيع يقاتل بعضها بعضا ، وهذا جزاء من يترك النور الهادى والصراط المستقيم (فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا) .

حملات الصليبيين والتتار .

وبعد تخدير الشعوبية للانسان العربى ، عمدت الى تأليب الصليبية والتتار عليه وعلى بلاده ، فجاسوا خلال الديار واعملوا القتل والذبح فى صفوفه ، وهدموا مدنيته والقوا تراثه الفكرى والعلمى فى اليم .

فاستفاق انساننا العربى على هذه الضربات الشديدة يستحس الخطا ويثير العزائم ، فاستطاع طرد هذه الزحوف الأجنبية حقبة من الزمن ، ولكنه ما لبث أن عاد الى غفوته بتأثير افيون الشعوبية ، فعاش بعيدا عن مثله العليا الاسلامية ، زاهدا فى الحياة مستسلما للأحداث ، غارقا فى الأوهام ، يوجه — حتى فى المساجد وفى دروس الوعظ والارشاد — توجيها بليدا ومخدرا ، وما زال على هذه الحال حتى فاجأه الغرب فى العصور الحديثة بقواه المادية ، فتقهقر امام حملات المستعمرين ودسائس المستشرقين الذين زينوا له الالحاد وحببوا اليه الاباحية .

ورغبوه بترك تراثه وتقليد الغرب فى تقاليده ، فسقط صريعا وانطمرت شخصيته تحت ركام المؤامرات ، وخدعوه واوهموه أن اسلامه هو الذى كان سبب نومه وانحطاطه ، كل ذلك ليزهدوه بهذا الدين العظيم الذى حول فى القديم طاقاته وخاماته الى قوى جبارة قيادية ، فتحت الدنيا ، ومدنت العالم .

على مفترق الطرق .

ان الانسان العربى اليوم على مفترق الطرق . فاما أن يختار طريق المستعمرين والمستشرقين ، فيصغى الى دسائسهم عن الاسلام ، فيضيع شخصيته ، ويدفن تراثه ، ويفقد ذاته ، ويضيع فى متاهات الغرب ، كما يضيع الجدول فى رمال الصحراء ، بل يشقى الى الأبد كما يشقى الغرب نفسه اليوم بسبب أنظمته الوضعية التى تقوده الى الهلاك والى انهيار الحضارة كما تنبأ بذلك كثير من فلاسفته .

وقد جرب هذا الانسان العربى بذاته هذا الطريق ، فغدا العوبة بين هذا وذاك ، وفقد كثيرا من اجزاء بلاده ، وغدا مهددا بضياع الأجزاء الأخرى .

واما ان يستيقظ ، ويفهم اسلامه فهما جديدا ، كما فهمه اسلافه المجاهدون ، ويعمل حسب منهاجه ، ولا يرضى بديلا من التشريعات والأنظمة الوضعية مهما قويت الدعاية لها ، وينطلق من قيوده ، غير مصغ لدسائس الشعوبيين والمستعمرين والمستشرقين .

وبذلك يعيد سيرته الأولى كقوة مستقلة ، ومعسكر لا شرقى ولا غربى ، فيقود قافلة الانسانية كما قادها من قبل ، وينقذ الحضارة من السقوط والانهيار .



للدكتور : محمد كامل الفقي

اكثر الأفراد والجماعات ، وأغلب الأمم والشعوب ، عرضة لوقوع الشر ، وشيوع الخلف ، وتفاقم النزاع ، وضراوة الصراع ، فاعنة النفوس بيد أهوائها ، وأزمتها بأكف غرائزها وشهواتها .

وفي طبيعة الحياة ان يفتن الأحياء بما يفتح عليهم من زهرة الدنيا ، وقد ((زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث)) .

والمجالدة على النفوذ والسلطان وارتكاب الاثم في الكيد والقهر ، أمر أعيا البشرية علاجه . ولو اهتدى الناس — وبايديهم أن يهتدوا — الى ان ينتصروا على ما استحر بينهم من خلاف ، وما شجر بينهم من نزاع ، لغدوا ملائكة وقديسين . وأظلتهم السكينة والرحمة ، ورأينا بدل الحروب والمعارك التي تفني البشر ، وتستنفد طاقات الأفراد والأمم ، سلاما ووئاما ، وحبا ومودة .

لكن ذلك شأن الحياة ، فلا بد من علاج هذا الداء والطب له ، وفي دين الله وسنة رسوله شفاء من كل داء . وبرء لكل سقام ، وما على الناس الا ان يفتحوا قلوبهم لخير هذا الدين ، وما تواصى به من الأخوة والحب والمودة ، فاذ ذاك تغمرهم السعادة في الحياتين جميعا .

ولقد وضعت القوانين وأقيمت المحاكم . وكثر المحامون ، وأعدت الدول رجال القضاء والادارة والنيابة وغصت مجمعات المحاكم بالمتخاصمين وازدحمت ساحاتها بالمتقاضين ، وسهر كل خصم على بذل الجهد لينال النصر ، ويضمن الغلب ، وحرص كل اشد الحرص على أن يكون الحن بحجته بلسانه أو بمحاميه من صاحبه فيقضى له ، وزيفت الحجج وصنعت البراهين ، وجلب الشهود ، وما حلت المحكمة خلافا واحدا ، قضت به على كيد أو خصومة ، بل خرج كل من طرفى الخصومة ، وفي نفسه أن

يستأنف النضال ، ان لم يكن في ساحاتها ففى ساحة الأيام ، فبينهما عداء مشبوب ، ونزاع يورث ولو ذهبت اسبابه ، وهان موضوعه ، وتتسلل القطيعة والعداوة من الأجداد الى الأحفاد ، فيقضى على العائلات بالتفرق ، وعلى العلاقات بين الأقرباء بالتمزق ، وتهون الصلات ولو كانت جوارا او قرابة او صلة رحم او اخوة او ابوة .

وما تجد اكثر المتقاضين راضيا بقضاء المحاكم وحكمها . وما يخلو احد المتقاضين من بذل مال ، واعداد عدة ، واحكام خطة ، وسهر وتدبير لو انفق بعضه في غير هذا لأفاد المرء والبشرية ، ويحيا طرفا الخلاف في هذا الجو الوبىء شهورا وسنين عددا .

لكنها حمى نزاع ، وشهوة خلف ، وداء استحكم في قلوب المتخاصمين .

وفي غمرة النزاعات التى اشتد اوارها . واستحكم خطرها ، وتفاقمت آثارها . تحن الانسانية الى عمل جليل . وتهفو الى صلح نبيل ، واطفاء للنار المتقدة ، واخماد للثورة المشبوبة ، وتنبض عروق الأخوة في اجساد المؤمنين ، ويتنادى اكثرهم حبا للخير ، وبغضا للشر ، اما للسلم والتسامح والصفح والتآخى من سبيل ؟

لقد راقنى ما يقوله الامام محمود ابن عمر الزمخشرى فى الكشاف بصدد قول الله تبارك وتعالى : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

يقول الزمخشرى : هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين ، وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الأخوة ويبرز عليها لم ينقص عنها ، ولم يتقاصر عن غايتها ، ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الأولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ، ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح ، وبثا للسفراء بينهما ، الى ان يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه ، وما استشن من الوصال من يبله (١) ، فالأخوة في الدين احق بذلك وباشد منه ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم : (المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار (٢) قدره .. ثم قال : احفظوا ولا يحفظ منكم الا القليل .

فصلة الايمان كصلة الأخوة تدفع المؤمن ان يسعى لاصلاح ذات البين بين المتخاصمين كانه اخ لهما . ويسهر على ازالة الجفوة بينهما . وجمع كلمتهما . ولم شعثهما . وبذلك تقوى اواصر المحبة بين المسلمين . ويسود التراحم والتعاطف فيهم ، ويمسون كلمة واحدة ، يتكون منهم مجتمع اتحاد ومودة . لا مجتمع تنابذ وخصام وفرقة ، وما ينفذ العدو الى

---

(١) استشنت القربة اخلقت وبليت .

(٢) القتار بضم القاف ريح القدر والشواء .

المسلمين الا من خلال تفرقهم ، وشتات امرهم ، فانهم يكونون مشغولين بالتخاصم والتقاضي ، والكيد والتدابر ، عن وطنهم الذي يحنو عليهم ، فيفرطون في صيانته ، ويلوون وجوههم عن النظر اليه ، وبذلك يكون هوانهم ، وتسنح الفرصة لعدوهم الذي لا ينام عن انتهازها .

وقد عني الاسلام اشد عناية بهتك سحائب الخصومة بين المسلمين ، وازالة ظلمات الجفوة بين المرء واخيه ورغب في ذلك وحض عليه . ودعا له دعوة قوية بأساليب مختلفة ، وتراكيب متعددة . فالله سبحانه وتعالى قرن الأمر بتقواه بالأمر باصلاح ذات البين . لما يترتب على ذلك من اصلاح المجتمع الاسلامي ، والتمكين له من السيادة ، فذلك حيث يقول : (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) .

وفي الحق ان الدعوة الى فض المنازعات ، وتبديد السخائم ، والترغيب في الوحدة ، والتلاقي ، سلوك واضح الى الهدى الذي عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه ابو هريرة رضي الله عنه : (من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا . ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) . وذلك فيما يظهر من بعض وجوه الهدى ، فحينما تبدر بادرة بين المسلم وصاحبه ، من الناس من يحتفل بأمرهما ، ويجند نفسه للم شملهما ، والفصل بالعدل فيما بينهما فتلك والله دعوة الى هدى وحق وخير .

ومن الناس من يلقى بنار الفتنة بين هذين ، ويحبذ لكل منهما ان يكون شاكي السلاح ، معتمدا على القضاء والشرطة ، وما يلزم للنصر في ذلك من جهد وطاقة ، فذلك والله انما هو دعوة الى ضلالة وباطل وشر .

والذين لا يعبأون بتمزق العلاقات بين الناس ، ويصمون آذانهم عن الخلف في حياتهم ، انما هم قوم فقدوا حس المؤمن وحبه لأخيه ، وما كثير عليهم أن يقال ان فيهم بلادة ايمان . وبرود رجولة . .

وفي الدعوة الى اصلاح ذات البين يقول الله في محكم كتابه : (لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) .

وفيما يرويه ابو هريرة رضي الله عنه عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم انه قال . . . (كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة (اى تصلح بينهما بالعدل) وتعين الرجل في دابته صدقة . وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة) .

ذلك ما نسميه محكمة الخير . ومحكمة الخير هذه شرعها الله في طائفتين من المؤمنين اقتتلوا كما سلف لك ، وشرعها للفصل بين الزوجين

المتنازعين فذلك حيث يقول : (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا) ومتى كانت نية الحكمين اصلاح ما بين الزوجين ، وكانت قلوبهما مشغولة بذلك بارك الله في وساطتهما ، وأوقع الله بطيب نفسهما ، وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة . والقى فى نفسهما الحب والمودة .

وشرعها الله كذلك في كل ما يحقق الصفو والوئام . ويدفع الظلم والتباغض ، ويصون الحق لصاحبه ، ومتى تعقدت شئون الحياة ، وتشابكت المصالح فيها ، وكثر النزاع على مواردها ، وشاع التحاسد بين الأقرباء والمتناظرين ، مست الحاجة الى هذه المحاكم ، ودعت الضرورة الى جماعة يدعون الى الخير ، ويحكمون بالعدل . صفت من الأهواء نفوسهم ، وخلصت من الأغراض مقاصدهم ، ينهضون براب الصدع ، ودفع الظلم ، ويقربون بين المتباعدين ، ويجمعون بين المتنافرين .

فهذه رسالة الأصفياء من المؤمنين وذلك عمل اهل الضمير والشرف من سادتهم ، وهم حملة اللواء حين يثق الناس بهم لحسن سلوكهم وعدالتهم ، واتشاحهم بوشاح الشرف والتقوى . فتستقر بهم الأمور تشتد الفتن . وتستشرى الأطماع وتنجاب برأيهم الظلمات ، وتبقى علائق الحب والوئام بين من كانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم الله منها .

ان محكمة الخير تنجح فيما تخفق في علاجه المحاكم ، وان الدعوة لقيامها في القرية والمدينة اقرب الطرق لسلامة الأمن وحقن الدماء .

ورب داء برىء بالحكمين لم يبرأ بقانون ولا بذى جاه وسلطان .

ومجلس الأمن ما لم يعبث به المستعمر الضارى محكمة خير ،

والجمعية العامة للأمم المتحدة ما لم يعبث بها المستعمر الضارى محكمة خير .

ومؤتمرات القمة في مستوى الملوك والرؤساء أو ما دون ذلك محكمة خير .

ولئن عملت المحاكم والقوانين في نطاق محدود ، فنطاق محاكم الخير اوسع مدى وأكثر سلطانا ، واشد اثرا وأعز نفرا .

حبذا لو عمق الوعى بضرورة هذه المحاكم ــ ولو باسم آخر ــ ودعا الواعظ والخطيب لقيامها . والتبصير بعظيم خطرها . ونشرت وسائل الاعلام الايمان بها ، والخير العظيم الناشىء منها ..

اذن لكثرت حمائم السلام ، وحمل الناس بدل الرماح والسيوف باقات الورود والأغصان .

وسادت الأخوة الفاضلة ، وقام المجتمع الفاضل . والله يهدى الى صراط مستقيم .

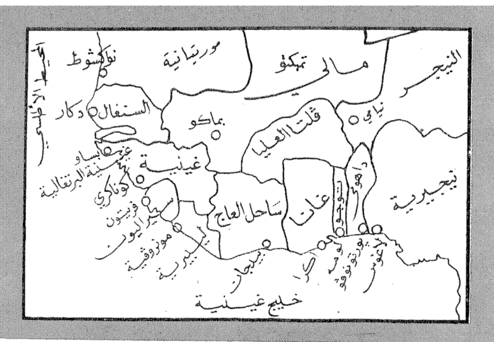
المسلمون في جمهورية داهومي

- الامام يجمع ابنــــاء المشركين ويعلمهم الاســلام ويرعاهم على نفقته .
- بعض المسـيحيين يهدون ابناءهم للبعثة العربية لتعلمهم الاسلام .
- لمــاذا كانت داهومى الجمهورية الافريقية الوحيدة التى ليس لها طلاب فى البلاد العربية والأزهر الشريف .. ؟

جمهورية الداهومى مــن الدول المستقلة حديثا فى غرب افريقيا ، بعــد ان اســـتعمرتها فرنسا مدة طويلة — وهى تطل مثل التوجو على المحيط الأطلنطى الذى يحدها شرقا — ومن الغرب تحيط بها جمهوريتا فولتا العليا والنيجر . اما فى الشمال فتقع جمهورية نيجــيريا ويحــدها جنوبا جمهورية التوجو .

ويرجع تسـمية هذه الجمهورية الى اسـطورة قديمة يتناقلها الناس حتى الآن ويؤكدون صحتها ، وذلك أنه فى سنة ١٦١٠ م كان لمنطقة فون « Fon » ملك اســمه دان « Dan » وكان للمنطقة المجاورة لها واسمها الدا « Allda » أمير اسمه ابو « Agbo » ويقال ان هــذا الثانى نزل ضيفا على الأول « دان » وبحكم الصداقة اخذ منزلا خاصا ليقيم فيه مدة ضيافته ، ولكن الضــيافة طال وقتها وأخذ « ابو » يستحضر بعض اتباعه شيئا فشيئا ، ويستولى على بعض أراضى دان — فضاق هذا به ذرعا وذات يوم قابله وقال له ساخرا : الا تريد بناء منزل على بطنى ؟ بعد أن اســتوليت على كثير من أراضى مملكتى — فاستشاط « ابو » غضبا ، واقسم أن يجعل هذا الــكلام حقيقة . وذات يوم استحضر قواته ، وباغت بها جيوش دان فانتصر عليها وقتل دان نفسه اثنــاء المعركة ، فوضعه فى أرض فسيحة ، وبنى على بطنه أول قصر فى هذه البلاد ، التى عرفت باسم « داهومى » والتى حرفت عن كلمة « دان هومى » ومعناها « بطن دان » كما أن معنى دان « الثعبان » أى ان معناها « بطن الثعبان » .

ويبلغ ســكان هذه الجمهورية حوالى المليونين والنصف تقريبــا وعاصمتها «برتنوفو» ولكن العاصمة الفعلية التى بهــا دور الحــكومة والسفارات الأجنبية ومركز التجارة هى « كوتونو » — كما أنه يوجــد كثــير من المدن الشــهيرة مثل « ابومى ، يدا ، باركو ، ساتيتى » ولــكن الشىء الذى يثير الانتباه كالعــادة فى الدول الافريقية ، هو كثرة اللغات واللهجات وتعددها ، وقد تجد لــكل مدينة بل لكل قبيلة



للاستاذ : طلعت غنام ــ توجو

لغة خاصة بها . وهذا نشأ من تشجيع الاستعمار ليمكن تفريقهم والظفر بهم . واللغة الأولى هنا المستعملة فى دور الحكومة ، ودور التعليم هى الفرنسية ، وبعدها لغة فون « Fons » ثم لغة اليوربا التى يتكلمها المسلمون اليوربا ــ والذين يرجعون أصلهم الى العروبة من قبيلة يعرب ، والتى حرفت بتداول اللغات . وقد يطلقون عليها « اناجو » كما يوجد ايضا لغة أجا وبربر والفلانية ولغة زونبا . هذا كما قلت بخلاف اللهجات واللغات الداخلية لكل قبيلة .

عدد المسلمين

ويبلغ عدد المسلمين الحقيقى فى داهومى حوالى ٥٠٪ من عدد السكان ، وهم متمسكون بالدين الاسلامى ، بالرغم مما يدخلونه فيه من الجهالات والعادات الضارة ــ ويوجد فى العاصمة « برتنوفو » كثير من الجمعيات الاسلامية . اشهرها : جمعيات «انصار الاسلام» « وانوار الدين » ، ويتمثل نشاطها فى بناء المدارس العربية ، التى يدرس بها مدرسون من نفس البلاد ، لم تصل اليهم بعد الطرق العصرية والنطق الصحيح .

واشهر هذه المدارس واقدمها « مدرسة الحاج مجدد التى تخرج فيها طلاب كثيرون يختار المتازين منهم لمساعدته فى المدرسة ، وتوجد مدرسة أخرى عربية فرنسية تعرف باسم « كولج آراب فرنسية » لها مصاريف خاصة ، والغرض من تدريس الفرنسية مع العربية فيها هو فتح باب عيش للخريجين منها ، حيث لا تعترف الدولة ولا تعطى عملا الا لمن يجيد الفرنسية ، فضلا عن ربطه بالمجتمع الذى يعيش فيه .

لا كيان لهم !!

والمسلمون هنا ليس لهم اى كيان سياسى معترف به فى الدولة ، من ناحية المساعدة المادية لبناء مدارس او مساجد ، الا ما يستطيعون جمعه من التبرعات والاشتراكات فى الجمعيات السالفة ، بخلاف الفئات الاخرى ، فان الحكومة تتكفل بكل احتياجاتهم ، بالرغم من أن المسلمين ــ كما قلت ــ يمثلون نصف الدولة !! وحتى استدعاء

الأساتذة لهم من الخارج ، لا يراد ان يكون بطريق رسمى .

وذلك يرجع لعدم وجود القيادات القوية ، وربما الصراع الداخلى على الزعامة فيما بينهم ــ هذا بالرغم من وجود مسلمين فى مراكز هامة فى الدولة مثل السكرتير العام لرئاسة الجمهورية ، ومثل رئيس مجلس الأمة قبل الانقلاب الأخير . ولهذا السبب ربما يرجع عدم وجود أى تلاميذ لهم مبعوثين للعالم العربى والأزهر الشريف ، لتعلم اللغة العربية والدين ــ وتكاد تكون داهومى هى الجمهورية الافريقية الوحيدة فى هذا المجال ــ وبعد الانقلاب اتفق المسلمون على انشاء اتحاد يضم كل الجمعيات برئاسة الزعيم عبد الوهاب .

ويتناقل مؤرخوهم المسلمون ان الاسلام دخل الى داهومى فى القرن الحادى عشر الميلادى ، عندما جاء الى غرب افريقيا من الجهات الساحلية حتى بلغ نيجيريا الى حدود الكونغو على يد الصحابى الجليل عقبة بن نافع رضي الله عنه . كما يقال ان من اتى بالاسلام الى داهومى هو ابو بكر بن عمر على أصح الأقوال .

حاصلاتها

وأما حاصلات هذه البلاد فكثيرة وان كانت الاستفادة الاقتصادية معدومة ، ذلك ان الاستعمار كعادته ، ينظر الى المستعمرات على أنها مزارع لأخذ المواد الخام منها ، وأسواق لتصدير المنتجات اليها بأضعاف أثمانها .

ومن أهم المحصولات هنا : البن والكاكاو والزيتون وجوز الهند ، وتوجد هذه الزراعة بشكل هائل ، وبأرخص الأثمان ، حيث لا يصدر منها الا ما يحتاج اليه المستعمرون ، والباقى يتداوله المواطنون ، ثم يلقون بالباقى فى المزارع حتى يشاء الله .

كما يوجد فى داهومى القطن والفول السودانى ونبات المنيوك « وطعمه كالبطاطس وحجمه ضخم جدا » وتوجد الذرة والبقول ، ويلاحظ فى هذه البلاد أن المسلمين يتمركزون فى العاصمة « برتونوفو » وفى كوتونو وزوجو وأيضا فى الشمال .

من عادات المسلمين

ويستلفت النظر ما لهم من عادات تستحق التأمل من ذلك مثلا أن كل حاج قبل أن يسافر الى البلاد المقدسة ، يدعو العلماء وكبار القوم ، يطعمهم ويسقيهم ، ثم يطلب دعواتهم له أن يعود بسلامة الله ، وقبيل سفره يقدمون له ما يستطيعون من الهدايا ، ويودعونه بالبكاء والحزن ، كأنه اللقاء الأخير .

وعند عودة الحجاج ترى جموعا حاشدة فى استقبالهم يرقصون ، ويدقون الطبول ، وهم يرتدون فاخر الثياب ، بينما الحجاج أيضا فى افخر الثياب الحريرية اللامعة ، وقلنسواتهم الخاصة التى يسمونها « الميكية » نسبة الى مكة المكرمة ، وينسجون حولها الكثير من الحكايات الخيالية ، ويدعون أن من يرتديها من غير الحجاج يموت بمرض فى رأسه .

وفى كل مسجد تجد للحجاج الصفوف الأولى ، والكلمة المسموعة ، وعند اقامة احتفالات الاستقبال لهم يحضرها كبار مسئولى الدولة ورئيس الجمهورية بنفسه ، احتراما وطلبا لدعواتهم المستجابة .

ولهم اجتماعات مقفلة لا يحضرها غير الحجاج فقط ، حيث يكون الجميع فى ملابس موحدة ، متفق عليها من الحرير المزركش اللامع ، وقلنسوات خاصة بهم . ومثل هذه الأمور هى التى تشعر الكثيرين بالرهبة والخضوع الدينى ، وتحبب الكثير فى زيارة بيت الله ، كما أنها تجذب كثيرا من غير المسلمين للدخول

فى الاسلام . ولهم جمعيات خاصة بهم تقيمها طائفة اليوربا « يعرب » كما يقولون لا يقبل فيها غير الحاج — وويل لمن ينسى او يخطىء لينادى حاجا مجردا من لقبه ، فانه يعطى درسا بالغا فى احترام الحاج وقلنسوة الحاج التى فوق راسه !!
وفى الاحتفالات بمولد النبى الكريم يذبحون الأبقار والطيور ويوزعونها مع الحلوى على الفقراء والمساكين . ويقرءون سيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

ويروى لى احد المعلمين اليوربا واسمه عبد العزيز اقوش وهو ممن يهتمون باللغة العربية « أن من العادة عند دفن الميت أن يشترى كل من له صلة نسب به ثيابا جديدة يلبسونها وهم يشيعونه الى مثواه الأخير ، بينما أولاده من حوله فى افخر الثياب وأحلاها .

وعادات الخطوبة والزواج عندهم لا تقل غرابة عن هذا ، حيث يطلقون على طالب الزواج «الرنا» اى الدليل او الهادى — وعندما تعجبه احد الفتيات ، يخاطبها مباشرة ، ودائما ترد عليه بأنها ستفكر فى الأمر ، وتذهب للمشاورة مع أمها التى تنصحها بالكتمان ، ثم يأتى الخطيب بنفسه الى دارها ، ويطلبها من أمها التى ترده أكثر من ثلاث مرات ، بينما هو مستمر فى كل مرة فى تقديم الهدايا . ثم يقولون له : سوف نسأل عن نسبك وحسبك . فاذا ما رأوا بعد البحث الطويل ان ليس هناك عداء بين العائلتين ، أو ليس فى نسبه مشرك أو فاسق ، وافق أهل العروس ، وعملوا احتفالا ضخما بيوم العرس يحضره اقارب الأسرتين ، ومعهم الوعاظ ، لبيان أمور الزواج لهم والطلاق ، وبعد ذلك تضرب الدفوف ، وتوزع الحلوى حتى الصباح .

مكانة الأئمة

ومن الجدير بالتنويه به تلك المكانة الكبيرة التى يحتلها الامام فى نفوس المسلمين من التقديس والاحترام . ومن عادته فى كل عام أن يقوم بجولة فى الريف ، يعظ فيها الناس عموما ، ويدعو غير المسلمين الى الاسلام ، وفى نهاية الجولة يعود بحصيلة ضخمة من عبدة الأوثان ، أو النصارى صغارا وكبارا . فهناك بعض الطاعنين فى السن الذين لا يستطيعون الذهاب معه ، فيعطونه أبناءهم ليعلمهم الاسلام واللغة العربية — كما حدث أثناء زيارتنا لأحدهم ، وشرحنا لهم بعضا من مبادىء الاسلام فقد قام أحدهم ليعلن أنه قد تبرع لأعضاء البعثة العربية بولدين لتعلمهم الاسلام واللغة العربية اقتناعا منه بالدعوة .

وان العجب لياخذ المرء كل ماخذ عندما يدخل بيت الامام فيرى منزله مكتظا بهؤلاء الأطفال الذين احضرهم ، وكلهم فى زى واحد ، وعمل لهم مدرسة واحدة ، يطعمهم ويكسوهم من نفقته الخاصة وبعض تبرعات أهل الخير — وان منظرهم ليشرح الصدر ، وهم فى صلاتهم يركعون ، ويسجدون لله ، وهم فى هذا الزى الواحد ، يناجون الله الواحد . وفى الصباح ينتظمون فى طابور المدرسة كانهم ابناء رجل واحد .

وبالرغم مما رايته ولم يعجبنى فقد حمدت الله وشكرته على أن الاسلام ما زال بخير يحميه الله ويرعاه — ينتشر من تلقاء نفسه ، ويقيض الله له من يرعاه ، ولو فى مجاهل البلاد ، من غير دعاية أو امكانيات تبشير « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » صدق الله العظيم .



يكتبها : عبد المنعم النمر

مع حرية التفكير والتعبير ..

« التفكير والتعبير معا هما الدورة الدموية الصحية للديموقراطية . اقصد ان اقول ان التفـــكير وحده نصف ديمقراطية ، لا يكتمل ولا يحقق قيمته بغير النصف الآخر .. وهو التعبير » .

« وكلا الوضعين ــ وضع مراكز القوة ، ووضع الأجهزة المتحكمة ــ فرض قيودا على امكانية التفكير والتعبير بطريقة منظمة اى بطريقة جماعية ، ولم يعد هناك ــ في بعض الأحيان ــ غير التفكير والتعبير الفردى ، الذى يقف وحده فى الجو الموحش ، وامام العواصف .. وهذه مغامرة غير مامونة ، لانه لا يمكن ان يطلب من كل الناس أن يبلغوا مرحلة القديسين والشهداء » .

« ويقال احيانا فى منطق التبرير : ان مراكز القوة كانت تخدم الثورة ، وان الأجهزة المتحكمة كانت تحميها . وليس ذلك صحيحا فيما اتصور . واغلب الظن أن مراكز القوة كانت تخدم نفسها ، كما ان الأجهزة المتحكمة كانت تحمى نفسها » .

« ويبقى ان نضيف ان الديموقراطية ليست هى حق الشـــكوى من الخدمات مثلا . كبطء الاجراءات الحكومية . ومشـــاكل المواصلات واحوال المستشفيات .. تلك كلها مســـائل لم يغلق باب الكلام عنها فى اى وقت من الأوقات » .

« كذلك فان الديموقراطية ليست هى مناقشـــة خطة التنمية مثلا ، او خطة الصناعة أو الزراعة او التعليم . تلك كلها قضايا اصبحت فى اختصاص العلماء والخبراء ، ووضع دقائقها امام الفرد العادى أصبح نوعا من التعجيز » .

« وانما مجال الديموقراطية الكبير هو العمل السياسى فى كل ناحية من النواحى الداخلية والخارجية » .

« ولقد عشـــنا مرحلة ســـابقة ــ كما قلت مرة من قبل ــ فى تجربة ديموقراطية بالموافقة ، ونحن ندخل الآن مرحلة لا يمـــكن ان تتحقق فيهـــا الديموقراطية الا بالمشاركة . وذلك ضرورى لحماية خط تطورنا العام ، كما انه ضرورى للمحافظة على التوازن الوطنى بينما هو يمشى على هذا الخط » .

« اننا لا نستطيع الحفاظ على توازننا الوطني الا اذا كانت اكبر كمية من الحقائق متاحة لاكبر عدد من الناس يشتركون فى المناقشة ، ويشتركون فى صنع القرار .. ومن هنا يتحملون مسئوليته » .

تلك فقرات من مقال الأستاذ (محمد حسنين هيكل) فى اهرام الجمعة (١٩٦٧/١٢/١) ، رايت ان اضمها هنا فى (خواطر) لأنها خواطرى وخواطر كل انسان ينشد لأمته الخير عن طريق الحرية .. ويحرص على ان يشارك برايه وجهده فى بناء الشوامخ فى بلاده .. ويضيق ذرعا بكل قيد يحول بينه وبين ما يحرص عليه او يحد منه .. ويرى ان كل قيد يفرض عليه ، يجمد مواهبه وقدراته ، ويحرم بلاده منها ، ويميت فيه التطلع لخدمتها ، ويحوله الى شبح انسان ، ويجعله مواطنا اتكاليا ينفض يده من مسئوليته تجاه بلاده ، ان لم يجعله يتربص لكل عمل ، وكل رأى ، وينقض عليه فى مجالسه ، ويصبح بذلك اداة تخريب .

ولقد علمنا الاسلام تقديس حرية الفكر وحرية التعبير ، حين لم يقبل ان يتخذ الاكراه وسيلة لاعتناقه ، وهو الحق الذى لا شك فيه .. وسجل ذلك فى آياته الخالدة : (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) ، « افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ؟

وفى الآية الاولى حقيقة لا بد ان ننتبه اليها جيدا ، فقد بنت عدم الاكراه او بنت الحرية على اساس العلم والمعرفة ، على معرفة الحق من الباطل والخطا من الصواب . « قد تبين الرشد من الغى » والمعنى الواضح لهذا الا تكون هناك حرية ، بدون فهم ووعى للموضوع ، بدون أن نضع الحقائق كاملة امام الناس ونبين لهم الضار من النافع ، والخطا من الصواب ، ولعل هذا هو الذى دعانى الى ان انادى فى افتتاحية سابقة بفتح النوافذ الداخلية والخارجية وقلت « افتحوا النوافذ الداخلية والخارجية لنعيش فى الأضواء ونبصر امامنا الطريق دون ضباب او خداع » وهذا هو الذى يقوله الاستاذ هيكل من جعل « أكبر كمية من الحقائق متاحة لأكبر عدد من الناس » وبذلك تقوم الحرية على عمدها الطبيعية بناء شامخا تسعد به الأمة ، وتجنى خيره .

وكذلك علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حرية الفكر ، وحرية التعبير عنه ، فى كل خطوة خطاها بفكره وتدبيره .. واقتدى به الخلفاء الراشدون ، وجعلوا القاعدة العامة فى سياستهم لرعيتهم ، « ان رأيتمونى على حق فاعينونى وان رايتمونى على باطل فقومونى » وتلك هى اسمى ما يمكن أن تصل اليه حرية الفكر وحرية التعبير . وصل اليها أجدادنا الصالحون وعاشوا فى ظلها مع رعيتهم أقوياء كرماء ..

والى ما وصلوا اليه نتطلع ، وعلى خطواتهم نحب أن نسير ..

حرية الفكر وحرية التعبير .. روح سرت فينا مع اشراق الاسلام فى نفوسنا .

حرية الفكر وحرية التعبير .. هى اول حق من حقوق الانسان حتى ولدك الصغير لا تستطيع أن تحرمه منها بل تشفق أن تسد عليه منافذها .

حرية الفكر وحرية التعبير .. تجعل منك انسانا يشعر بوجوده وانسانيته ، ويحس واجبه ومسئوليته نحو بلاده ..

نعمة جعلها الله حقك الطبيعى فى الحياة ، كنعمة التنفس ، ونعمة الشمس والهواء ، وهى حقا كما يصفها الاستاذ هيكل : « الدورة الدموية الصحية للديموقراطية » .

ولا صحة او لا حياة لأمة بغير الديمقراطية الصحيحة ، او بغير الشورى كما سماها القرآن الكريم .

مع تاريخنـــــا

من مطالعاتى فى تاريخ الاسلام فى الهند ، وسيرة الملوك المسلمين الذين حكموها ، اقدم لك هذه الباقات و .. العظات .. :

مخالى الشعير ..

كان شهاب الدين ابو المظفر محمد الغورى قد زحف بجيوشـــه من غزنة الى الهند ، وانتقل فيها من نصر الى نصر ، حتى خشيه ملوك الولايات الهندية فتجمعوا لقتاله وصده فى مكان قريب من دلهى بثمانية اميال . وامام القوة الكثيرة التى جمعها هؤلاء الملوك انهزم محمد الغورى ، وجرح حتى أشيع انه قتل .. ولكنه كان قد نقل الى مكان مأمون ، بعيد عن المعركة ..

وكان اول ما فعله بعد ذلك ، ان أخذ الأمراء الغوريين الذين انهزموا عنه واسلموه ، فملأ مخالى خيلهم شعيرا ، وحلف لئن لم ياكلوه ليضربن اعناقهم ، فاكلوه ضرورة » ابن الأثير ص ٦٥ جـ ١٩ .

هذه واحدة ..

اما الثانية فقد اتجه بها لنفسه لشدة وقع الهزيمة عليه .. فاقسم الا يقرب النساء ، ولا يغير ملابسه حتى ينتصر ، وينتقم ، ويغسل ما لحقه من عار .

ولم يمكث على ذلك طويلا اذ لم تمض سنة ، حتى تلاقى مع اعدائه سنة ٥٨٨ هـ ــ ١١٩٢ م فى مكان الموقعة الأولى ، وهزمهم شر هزيمة .. واسر ملك (اجمير) الذى كان يهدده وينذره من قبل ، وضرب عنقه .. واســـتولى على بلاده .

نساء مجاهدات ..

فى حملة من حملات السلطان المجاهد محمود الغزنوى على الهند واجه جمعا من الهندوس يفوق جيشه ، ورأى النساء المسـلمات أن يشـــتركن مع السلطان المجاهد فى جهاده باسلوبهن ، فتبرعن بحليهن ، وبما استطعن جمعه من المال للجيش الاسلامى المجاهد فى الهند .. وبهذه الروح التى شملت الجيش المحارب ومن وراءه حتى النســـاء كسب الســـلطان الحرب واوقع باعدائه الهزيمة ..

علماء وملوك ..

ويذكر ابن بطوطة عن رحلته للهند « انه لما مات الملك قطب الدين أيبك استبد بالملك بعده مملوكه شمس الدين التمش ، وأخذ الناس بالبيعة ، فاتاه الفقهاء يقدمهم قاضى القضاة اذ ذاك (وجيه الدين الكاسانى) فدخلوا عليه ، وقعدوا بين يديه ، وقعد القاضى الى جانبه كالعادة ، وفهم السلطان عنهم ما ارادوا ان يكلموه فيه ، فرفع طرف البساط الذى هو قاعد عليه ، واخرج لهم عقدا يتضمن عتقه ، فقراه القاضى والفقهاء وبايعوه جميعا » . وكلنا يعرف انه كان لهـــذا الموقف من العلماء شبيه له بمصر على صـــورة اروع وكان بطله عالما من افذاذ العلماء واحد الملوك من المماليك .

مصير الصغار عند ارتداد آبائهم

الأستاذ : نعمان عبد الرزاق السامرائى
كلية الشريعة ــ بغداد

تمهيـــد :

نود أن نورد هنا أولا توضيحا موجزا لمعنى الردة في المدلول اللغوى ، وفي المتعارف عليه عند الفقهـــاء ، ونورد لتعريف الردة فى اللغة عبـــارة ابن منظور في لســـان العـــرب ونصهـــا : « .. وقد ارتد ، وارتد عنه : تحول : وفى التنزيل « ومن يرتدد منكم عن دينه » (١) والاسم : الردة ، ومنه : الردة عن الاسلام ، اى الرجوع عنه ، وارتد فلان عن دينه : اذا كفر بعـــد اسلامه .. » (٢) اما في اصطلاح الفقهاء فقد عرف الفقهاء الـــــردة بجملة تعاريف متقاربة لعل من اشملها تعريف الباجـــورى في حاشيتـــه : (الردة : قطع الاسلام ، بنية كفر ، أو قول كفر ، أو فعل كفر ، أو فعـــل كسجود لصنم ، سواء كان على جهة الاستهزاء أو العناد أو الاعتقاد .. » وبعد هذه اللمحة .. نعالج اثـــــر الردة على الأولاد الصغار ، علـــى اعتبار تبعيتهم لآبائهم في حالة الاسلام فاذا كان الولد يعد مسلما تبعا لاسلام ابيه ، فهل يصير الولد مرتدا كذلك ، اذا غادر الأب المسلم دين الاسلام ، وارتد عنه ، ولـــه أولاد صغار ؟ أم يبقون على الاسلام ويكون لهم حكم مستقل في هذه الحال ؟ ما الحكم اذا كانت الزوجة (أم الولد الصغـــير) مسلمة وظلت على اسلامها رغم ردة الأب ؟ وهل تختلف النتيجة اذا كانت كتابية ؟

لا يخلو الأمر حين يرتد مسلـــــم وامرأته ولهما ولد صغير ــ أو أكثر ــ من أن يكون الحمل به وولادته قـــد حصلا في حال اسلام الأبوين ، أو أن يكون الحمل به حدث في حال الاســلام ثم ولد في حال الردة ، أو أن يكـــون حصول الحمل والولادة في الردة .

ومن جهة ثانية فالردة قد تقع من الأب وحده ، أو منه ومن امرأته معا ، وهذه المرأة اما مسلمة واما كتابية .

(١) البقرة آية : ٢١٧

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ٤ ص ١٥٣ وجمهرة اللغة لابن دريد ج ــ ١ ــ ص ٧٢ وتاج العروس للزبيدى ج ٢ ص ٣٥١ والصحاح للجوهرى ج ١ ص ٤٧٠ .

ومن حصيلة هذه الاحتمالات يمكننا ان نستعرض ما يتكون منها من قضايا متعددة لبيان الحكم الشرعي لها :

١ — من ولد في الاسلام قبل ردة أبويه :

مما لا نزاع فيه ان من ولد في الاسلام فهو مسلم ، لأنه ولد بين مسلمين ، فيحكم باسلامه تبعا لأبويه فان ارتد الأبوان فان الابن يبقى على اسلامه ، ولا يتبعهما في ردتهما ، لأن التبعية تتحول حينئذ الى الدار وهى دار اسلام . قد يقال : ان الدار لا تصلح لاثبات التبعية ابتداء فكيف نحكم باسلامه تبعا للدار ؟ والجواب انها تصلح للابقاء ، وفقا للقاعدة الفقهية القائلة : « يصح في البقاء ما لا يصح في الابتداء » .

ولعل الحكم باسلام من ذكرنا من الصغار محل اتفاق بين الفقهاء — فيما أعلم — وفي ذلك يقول الكاسانى الحنفى (.. فولد المرتد لا يخلو من أن يكون مولودا في الاسلام او في الردة ، فان كان مولودا في الاسلام بأن ولد للزوجين ولد وهما مسلمان ثم ارتدا : لا يحكم بردته ما دام في دار الاسلام ، لأنه لما ولد وأبواه مسلمان فقد حكم باسلامه تبعا لأبويه ، فلا يزول بردتهما لتحول التبعية الى الدار ، اذ الدار — وان كانت لا تصلح لاثبات التبعية ابتداء عند استتباع الأبوين فهى تصلح للابقاء ، لأنه أسهل من الابتداء ، فما دام في دار الاسلام يبقى على حكم الاسلام تبعا للدار ..) الا انى وجدت تعميما للزيدية يقولون فيه ان الصغير يتبع أبويه في الاسلام والكفر ، من غير أن يفصلوا في المسألة بما يوضح رأيهم جيدا .

٢ — من كان حملا والأبوان مسلمان ثم ولد في ردتهما :

اما من حمل به في اسلام أبويه ، لكنه ولد بعد الردة فحكمه الاسلام ، وسبب ذلك انه عند ابتداء الحمل كانا مسلمين فيحكم باسلامه ، ولا يتبع والديه في ردتهما لأن الاسلام يعلو كما يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وفي هذا يقول الصباغ الشافعى (.. ان أولاد المرتدين ان كانوا ولدوا قبل ردتهم أو ارتدوا ولهم حمل فانهم محكوم باسلامهم ولا يتبعونهم بالردة ، لأن الاسلام يعلو ، وقد تبعوهم في الاسلام فلا يتبعونهم في الكفر) .

وبمثل ما تقدم قال الزيدية (ويحكم لمن حمل به في الاسلام به لقوله تعالى (الحقنا بهم ذرياتهم) ولا حكم لردة أبويه من بعد) كما نقل هذا الرأى الشيرازى الشافعى .

٣ — من حمل به في حال الردة وولد فيها :

اما من حمل به وولد بعد ردة أبويه فهو كافر ، لأنه ولد بين أبوين كافرين ، لا نعلم في ذلك خلافا ، الا ما حكاه المرداوى الحنبلى من رأيين في اقراره على الكفر أو عدمه ، ثم أوضح أن المذهب هو الاقرار على الكفر ، (١) وما حكاه بهرام المالكى في احد الأقوال من انه يجبر على الاسلام (٢) .

---

(١) الانصاف للمرداوى جـ ١ ص ٣٤٧ .
(٢) الشامل لبهرام مخطوطة جـ ٢ ورقة ١٧١ .

٤ ـ اذا ارتـــد الأب دون الأم المسلمة :

اذا ارتد رجل مسلم دون امراته المسلمة ، وولد له بعد ذلك ولد ، فانه يكون مسلما تبعا لأمه ، ولعل السبب في ذلك ان المرتد لا ملة له ولا دين ، وهو ملزم بالتوبة ، والعودة للاسلام أو القتل ، ولهذا الحقوا الطفل بأمه المسلمة وفقا للقاعدة القائلة : (يتبع الابن خير الأبوين دينا) . وفي هذا يقول العلامة الشيخ احمد ابراهيم بك : (.. واذا ولد للمرتد ولد من امراة مسلمة علقت به بعد الردة فان هذا الولد يعتبر مسلما تبعا لأمه ، فاذا مات المرتد ورثه هذا الولد ، لأن المسلم يرث المرتد ..) .

٥ ـ اذا ارتد الأب وكانت الأم كتابية :

اذا كان الأب مسلما فارتد ، والأم كتابية : يهودية أو نصرانية ، وولد لهم ولد فهو كافر ، لأنه ولد بين أبوين ليسا مسلمين ولا أحدهما ، لذلك يحكم بكفره ، وفي ذلك يقول الشيرازى الشافعى (.. وان ولد له ولد بعد الردة من ذمية فهو كافر ، لأنه بين كافرين ..) (١) .

ويقول العلامة الشيخ احمد ابراهيم بك : (.. اما أن كانت أمه كتابية يهودية أو نصرانية فان هذا الولد المولود له منها بعد ردته لا يرثه ، لأنه يجعل تبعا للمرتد لا لأمه ، وذلك لقرب المرتد الى الاسلام ، لأنه يجبر على العودة اليه ، وبهذا يصير الولد فى حكم المرتد ..) (٢) .

٦ ـ اذا قتل الأب المرتد هل يحكم لابنه الصغير بالاسلام ؟ :

المرتد اما أن يتوب فيعود للاسلام ، أو يصر على ردته فيقتل ، فان قتل والد الطفل لردته ، فما مصير ابنه الصغير ؟ أيكون كافرا تبعا لوالده ؟ أم يكون مسلما تبعا للدار ؟

قال المالكية ببقاء الولد مسلما ، سواء ولد قبل الردة أو بعدها ، وعللوا ذلك بأن التبعية للأب انما تكون في دين يقر عليه ، يقول الخرشى : (وبقى ولده مسلما) يعنى أن المرتد اذا قتل على ردته فان ولده الصغير يبقى على الاسلام ، ولا يتبع اباه في ردته ، لأن التبعية للأب انما تكون في دين يقر عليه ، ويقصد بعبارة : « وبقى ولده مسلما » اى حكم باسلامه ، صغيرا كان أو كبيرا ، ولد قبل الردة أم بعدها على المذهب .. ولعل التبعية هنا صارت للدار ، وهى دار الاسلام التى تصلح لاثباتها بقاء ، أو بسبب بقاء الأم مسلمة وان أهمل (الخرشى) بيان ذلك ، وقد أيد ما ذهب اليه الخرشى كل من عليش (٣) والقرافى (٤) من المالكية .

ويمكن اجمال ما تقدم من صور ، بأن كل مولود ولد لمسلمين حال اسلامهما فهو مسلم ، ومن حمل به في الاسلام ثم ولد في الردة فهو مسلم وأما من حمل به في حال الردة من أبويه وولد فيها فهو كافر ، ومن ولد لأب مرتد وأم كتابية فهو كافر ، أما من ولد لأب مرتد وأم مسلمة فهو

---

(١) المهذب للشيرازى جـ ٢ ص ٢٢٤ .

(٢) مجلة القانون المصرية : العدد الأول السنة الاولى ص ١٣ .

(٣) شرح منح الجليل ج ٤ ص ٤٦٦ .

(٤) الذخيرة للقرافي مخطوطة جـ ٢ ورقة ٢١٤ .

مسلم ، وكذلك من قتل ابوه مرتدا فهو مسلم .

ولعل من تتمة الحديث ، ولو من وجه ، ان نختمه بالكلام عمن كان مولودا بين كافرين في دار الاسلام فماتا وهو صغير ، فهل يحكم باسلامه ؟ وان مات احدهما دون الآخر فما حكم الصغير في دار الاسلام ؟؟؟

لندع الحديث لابن قدامة (1) يجلى المسألة قائلا : (وكذلك من مات من الابوين على كفره قسم له الميراث وكان مسلما بموت من مات منهما) يعنى اذا مات احد ابوى الولد الكافرين صار الولد مسلما بموته وقسم له الميراث ، واكثر الفقهاء على أنه لا يحكم باسلامه بموتهما ، ولا موت احدهما ، لأنه يثبت كفره تبعا ولم يوجد منه اسلام ، ولا ممن هو تابع له فوجب ابقاؤه على ما كان عليه ، ولأنه لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من خلفائه انه أجبر احدا من اهل الذمة على الاسلام بموت أبيه ، مع انه لم يخل زمنهم عن موت بعض اهل الذمة عن يتيم .

ويستدل ابن قدامة على رأيه فيقول : ولنا — اى للحنبلية — قوله صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) متفق عليه ، فجعل كفره بفعل ابويه ، فاذا مات أحدهما انقطعت التبعية ، فوجب ابقاؤه على الفطرة التى ولد عليها ، لأن المسألة مفروضة فيمن مات ابوه في دار الاسلام ، وقضية الدار الحكم باسلام أهلها ، ولذلك حكمنا باسلام لقيطها ، وانما ثبت الكفر للطفل الذى له ابوان ، فاذا عدما او أحدهما وجب بقاؤه على حكم الدار لانقطاع تبعيته لمن يكفر بها ، وانما قسم له الميراث ، لأن اسلامه انما ثبت بموت أبيه الذى استحق به الميراث فهو سبب لهما فلم يتقدم الاسلام المانع من الميراث على استحقاقه ، ولأن الحرية المعلقة بالموت لا توجب الميراث ، فيجب ان يكون الاسلام المعلق بالموت لا يمنع الميراث ، وهذا فيما اذا كان في دار الاسلام ، لأنه متى انقطعت تبعيته من ابويه أو أحدهما ثبت له حكم الدار . .)

ولعل من المعقول ان نقول باسلام الصغير في دار الاسلام حين يموت والداه وهما غير مسلمين ، فنجرى عليه حكم الدار لقصوره حفظا له من الضياع ، ولئلا يصير كافرا في المستقبل ، ولكن عند وفاة أحد الوالدين وبقاء الآخر فكيف نحكم باسلام الصغير وهو لم تنقطع تبعيته للباقى منهما ؟.

ثم أين هى الأدلة النقلية للرأى المعاكس غير الحديث المتقدم ، وهو محتمل أن ينصرف الى حال وفاة الوالدين كليهما لا احدهما ، خصوصا ان الحديث اسند التأثير للاثنين لا لأحدهما (فأبواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه) .

لذا . . فان ساغ الحكم باسلام الصغير بوفاة أبويه الكافرين في دار الاسلام ، فلن يسهل التسليم بالحكم نفسه في حال وفاة أحدهما وبقائه في كنف الآخر وولايته ، اذ من الطبيعى ان يتبع الباقى منهما في دينه .

---

(1) المغنى لابن قدامة الحنبلى ج ٨ ص ٥٥٥ .



حماية الدولة للأجانب

للأستاذ على الخطيب

فى عصرنا الحاضر تبلغ الدولة مكانتها المرموقة بين الدول ، وتكتسب سمعة طيبة بقدر ما تتمتع به من أمن داخلى متين ، لا يقوم على ارهاب ، ولا ينبثق عن جبن ، بل بفضل ما ينتشر فى الدولة من نظم سياسية ، تقوم على توفير الثقة بحريات الشعب ، والايمان بقـدرته على الاحتفاظ بتلك الحرية ، وحسن ممارستها ، ووعيه بحقوق الآخرين فى الدول الاجنبية .

على أن الدولة ترتقى الى الذروة من السمعة الطيبة ، حين يمكنها أن تحفظ لمواطنيها — عن ايمان ورغبة — حقهم فى الامن والحرية داخل بلادهم وخارجها على السواء ، وأن الدولة التى تبلغ بشعبها هذا المستوى من الرقى ، وتدفع به الى هذه الذروة من الحضارة لدولة قوية تستطيع — بجانب « ديمقراطيتهـا » وحبها للسلام — أن تفرض هيبتها على الآخرين ، فلا يكون أبناؤها عرضة للعبث بهم اذا حلوا بينهم .

ولقد أصبحت الدولة — أية دولة — ذات حق مباشر ، ومسئولية أولية فى حفظ حياة ابنائها ، وكرامتهم وأموالهم فى داخل البلاد وخارجها ، وارتفع هـذا الحق الى مستوى الصعيد الدولى ، فأقرته المجـالات الدولية ، وأصبح نافذ المفعول بين الدول الصـديقة ، أو الدول التى تترابط مع آخرين بمعـاهدات واتفاقات ، بواسطتها يتمكن « ممثل » اى بلد أن يباشر عمله فى حفظ حياة مواطنيه ، وأموالهم وكرامتهم ، اينما حلوا .

وانه لمن الواضح أن هذا الحق لم ينظم فى المجال الدولى بصورة فعالة الا فى العصور الحديثة ، ولا نستطيع أن نخدع انفسنا ونقول : ان الامم جرت على هذا العرف منذ زمن قديم . فالواقع مخالف لهذا المنطق ، وان كانت هناك حوادث فردية تشير الى وجوده فيما سبق من سنين .

فمنذ تفتت الدولة الرومانية ، وابتدأت القوميات تستقل بأراضيها ، وتعلن سيادتها — برزت هذه المشكلة وتضخمت دون ما علاج ، بينما طابع الغـدر بأفراد الجنسيات الاخرى قائم برا وبحرا ، ولا تغيب عن اذهاننا وقائع القرصنة فى البحار ، ولا قطع الطرقات فى القفار ، وان نجا ناج من ذلك فقد يتسم بصفة (عامة) كقنصل او سفير . اما افراد الناس العاديين فهم هدف الهلاك من أيد تبطش ، وهى تعلم انها بمأمن من العقوبة .

وان هذا الوضع الذى كانت عليه الانسانية قبل تاكيد هذه الحقوق فى اطار دولى ليصمها ــ حين تشرع لنفسها ، وتنأى عن السماء ــ بالتأخر ، وان ارتفعت فيها الوان الحضارة ، واطنبت لها ابواق الدعاية ، ويكفى أن نعلم هنا ان القانون الدولى الحديث ــ فى هذه المسألة ــ جاء متأخرا أربعة عشر قرنا هى حياة الاسلام ، الذى نظم هذا الجانب ، وأقام حدوده ، ومارس تطبيقه على ضوء من شرعة الله الصائبة التى لا يمكن ان تضل ، واستطاع ان يعلم الدول الاخرى كيف تحافظ ــ فى هذا الجانب ــ على حقه وحق رعاياه .

واذا قلنا : ان الاسلام هو اول من نظم هذا الامر ، وجعله حقا دوليا ، فلسنا نريد بذلك خطف الاضواء له ، أو التبجح بما يبرأ الاسلام منه ، لذلك نقدم (قانون الاسلام) فى هذا الجانب مصحوبا بوقائعه ، حتى لا يشعر القارىء أننا اقتحمنا فكره عابثين مغرورين مغررين .

١ ــ ففى المهد عندما كانت دولة الاسلام هى رقعة المدينة ليس غير ، ولم تكن تلك الدولة ــ ان صح التعبير ــ تمثل قوة (فارس) أو عظمة (الرومان) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع من أصحابه يريد مكة (معتمرا) وارسل عثمان بن عفان رضى الله عنه سفيرا له الى اهل مكة ، يبلغهم رغبة رسول الله وصحابته ، ويبين الهدف من مجيئهم ، وذهب عثمان وغاب ، واشيع بين المسلمين ــ مجرد اشاعة ــ ان عثمان قتل ، فثارت ثائرتهم وجمعهم الرسول صلى الله عليه وسلم اليه ، فبايعهم فردا فردا على الموت ، وعدم الفرار ، وقال عليه السلام : لا نبرح حتى نناجز القوم .

وسكنت ثورتهم حينما ادركوا أمر الاشاعة ، وعلموا أن سفيرهم سليم معافى . وتلك هى الحادثة التى نزل فيها قوله تعالى : «لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة .. الآية » وفى كتب التفسير تفصيل الحادثة لمن أراد. وهنا يتجلى حق الفرد فى حمايته لدى الآخرين .

وثمة حادثة أخرى ، تبرز هذا الدور .

فقد جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من عكل وعرينة ، وطلبوا اليه ايواءهم ورفدهم ، فأنزلهم الرسول صلى الله عليه وسلم منزلا طيبا خارج المدينة ، وترك لهم ابلا يغتذون منها ، كى تتوفر لهم الصحة والعافية ، حتى اذا برئوا كروا على رعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهم ، واستاقوا الابل ، وفروا بها فى الصحراء ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمطاردتهم فلما عادوا بهم أمر بهم فقتلوا جميعا عقابا لهم على غدرهم (١) .

ولم يتوقف معاوية رضى الله عنه أمام وكزة وكزها « بطريق » عند ملك الروم لأحد الاعراب ، وأسرها معاوية فى نفسه ، ثم احتال حيلة كلفته المال الكثير ، حتى اتى بالبطريق أمامه مخطوفا من بلاده ، وأوقفه أمام الاعرابى وقال له : أهذا صاحبك ..؟ قال الاعرابى : نعم . قال معاوية : افعل به ما فعل بك ولا تزد ، فوكزه الاعرابى .. ثم رد معاوية البطريق الى بلاده بعد ان لقنه هذا الدرس العادل .

ولا ينس المسلمون سبب فتح (عمورية) الذى قام به المعتصم الخليفة العباسى الثامن ، فقد كان سببه روميا صفع امرأة عربية فاستغاثت وصرخت . وامعتصماه ونقل الخبر عربى الى المعتصم فلباها بجيش فتح عمورية ، وأتى بالرومى فجعله (عبدا) للاعرابية . وكانت بدورها كريمة الطبع ، سخية السجايا فتركت (العبد) .

ان هذه الحوادث لتقرر فى وضوح حق الدولة الاسلامية فى رعاية ابنائها

---

(١) انظر صحيح البخارى باب قصة عكل وعرينة ، وباب المحاربين من اهل الكفر والردة .

في الخارج ، والدفاع عنهم ، وتوفير أمنهم وكرامتهم واعراضهم . . دون غصب ، ولا اعتداء من رعاياها ، ولا ينسى الاسلام ايضا وجوب تربية أبنائه على احترام مشاعر الغير ومقدساتهم ، فلا يجوز للمسلمين بأوطانهم ، او بأوطان غيرهم ان يسبوا هذه المقدسات ، أو ينالوا منها ، يقول تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ـــ ١٠٨ ـــ الانعام .

كما لا يجوز للمسلم بوطن آخر ان يرتكب جريمة ، ثم يطلب الى الاسلام حمايته ، ويعنى هذا ان حق الفرد فى حمايته فى الداخل والخارج مصون ، طالما كان هو نفسه مستقيم السيرة ، مستقيم السلوك ، غير هدام للآخرين .

واذا كان الاسلام قد قرر لنفسه هذا الحق ، فهل حفظه للآخرين من رعايا الدول الاخرى الذين يقيمون بأرضه . .؟

ان الاسلام منح هذا الحق ـــ حق الأمن وتوفير السكرامة في بلاده حتى للأفراد من رعايا الاعداء فى بعض الاحوال .

وان الاسلام هنا « لا يعقد » الاجراءات التى تسمح بهذا الحق ، فقد كان الجندى ـــ اى جندى ـــ من المسلمين (١) يستطيع اعطاء هذا الحق لفرد أو افراد من الاعداء لمصلحة عامة ، فلا يستطيع الحاكم الا ان يمضيه ، فالمسلمون (سواسية) تتكافأ دماؤهم ، ويأخذ بذمتهم ادناهم .

وان هذه البساطة بما اشتملت من وعى ، وهدف لاظهار روح الاسلام ، لا تضيق أبدا برعايا الاجانب على اى وجه كانوا ، سواء كانوا :

ا) اعضاء بعثات سياسية ، أو تجارية ، وما يلحق بهم من موظفين مختلفى الدرجات لشؤون واجباتهم .

ب)أو كانوا افراد جاليات متعددة الاجناس .

ج) او افرادا لجأوا الى الدولة .

د) او طلبة .

فكل هؤلاء آمنون مطمئنون ، طالما دخلوا البلاد بناء على (معاهدة) أو حصلوا على (اذن خاص) بالاقامة ، ولو كان الحاصل على الاذن عدوا جاء البلاد لمفاوضة فى تبادل الاسرى او غير ذلك . يقول تعالى :

. . . فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين ـــ ٤ ـــ التوبة « بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين » (٢) .

فكل عهد يجب الوفاء به ، ولا يشترط الاسلام من هؤلاء الا ان يحترموا مقدسات اهله ، وعرفهم ، ولا يسعون لضرر بهم ، فان نكثوا هذا العهد ، وطعنوا فى الدين ، وهزءوا بالعرف ، وسعوا الى الهدم ، وجب القصاص منهم تماما كأبناء البلاد .

اما اذا سلكوا بالحسنى ، فالدولة مسئولة عنهم ، وعما يقع لبعض افرادهم من حوادث ، لا تخلو منها دولة ، كان يغتال احدهم ، او يقتل خطأ ، وتسعى الدولة الى محاكمة الجانى من ابنائها ، وتعويض أسرة القتيل .

قال تعالى فى آية القتل : « وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله ، وتحرير رقبة مؤمنة » ـــ ٩٢ ـــ النساء .

هذا جانب من جوانب « دولة » الاسلام ، وحسب الاسلام فخرا ان القانون الدولى حين قرر وحدد فى هذا الجانب ، كان متأخرا ، ولم يأت بجديد ، وكان الاسلام وحده ممهد الطريق ورافع أعلامه . صنع الله الذى اتقن كل شىء .

---

(١) بل أعطاه الافراد العاديين من الرجال والنساء وحديث « قد أجرنا من اجرت يا أم هانىء » عند فتح مكة معروف واضح الدلالة على هذا . (الوعى)

(٢) ٧٦ آل عمران .

جلّ من أبدع الوجود فنونا

للاستاذ : ابراهيم محمد نجا

ايه دوكان قد اتيتك والافـــ ... ـــق جميل السمات .. حلو السفور

والطريق الجميل .. زهر وعطر ... وغناء من جدول أو غدير

يلتوى تارة .. ويمتد اخرى ... مثل سطر يمتد بين السطور

والروابى خلف السهول عذارى ... يتراءين من وراء الستور

وضياء الصباح يرقص نشوا ... ن ويشدو للنرجس المنثور

وعبير الزهور يصدح فى الرو ... ض بلحن من الشعاع المنير

ونسيم المروج منديل عذرا ... ء يناجى روحى بهمس مثير

عطر الحب نسجه .. وكساه ... رقة الزهر والندى والحرير

وغناء المياه همس شجى ... يسكب السحر فى حنايا الشعور

* * *

من اعلى الذرى يجىء .. ومن نبـ ... ـع تغنى فيه بنات الحور

فهناك المجهول يبدأ من حيـ ... ـث توارت معالم المنظور

وهنا الماء .. والجبال حواليـ ... ـه نطاق من عالم مسحور

وانا جالس اطل على النهـ ... ـر الذى يرتمى بحضن الصخور

وادعا لا يكاد يصدر منه ... غير خفق من قلبه المسرور

مثل طفل قد لاذ بالام جذلا ... ن .. فغطته بالحنان الوفير

انا من حالق اراه .. كما ابـ ... ـصر عينا عميقة التعبير

وأرى السد شامخا .. من بعيد ... يتراءى كالمارد الاسطورى

جالسا فوق عرشه ، والرعايا ... شاخصات من رهبة التوقير

يملك النهر .. فهو يمنح منه ... ما تراه سجية التدبير

« زار الشاعر ناحية دوكان .. مركز قضاء السليمانية في شمال العراق .. وفيها سد دوكان الكبير وذلك اثناء عمله بالعراق ففاضت شاعريته بهذه القصيدة التصويرية الجميلة » ..

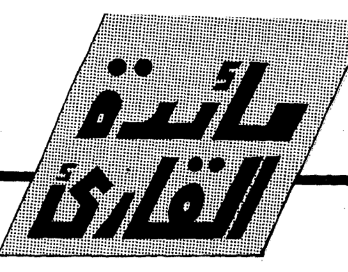
يدفق الماء كالنضار مذوبا — وهو اصفى من رائق البللور
صنعة تبهر العقول .. وفن — أبدعته روائع التفكير
اعجزت كل صنعة .. غير ما قد — أبدعته يد العلى القدير
جل من أبدع العقول التى تبـ — ـدع ما فوق قدرة التصوير

* * *

ها هنا رقة الجمال تجلت — فى سهول صداحة بالطيور
وغدير يجتاز بالسهل نشوا — ن يغنى غناء طفل غرير
وزهور كأنهن عذارى — تتلقاك بالرحيق الطهور
وسماء تحلق الروح فيها — وهى ترقى على جناح الاثير

* * *

ها هنا رهبة الجمال تجلت — فى جبال تعلو مطار النسور
آخذ بعضها بجانب بعض — فهى سد يصد كل مغير
كللت هامها بقايا ثلوج — كسنا الفجر او كزهر نضير
تتبدى شم القصور اذا قا — مت على السفح .. مثل كوخ صغير
ووهاد كأنها الأفق المقـ — ـلوب فى القاع .. من قديم العصور
أو جبال معكوسة الوضع جوف — نسقتها يد الحكيم الخبير
جل من ابدع الوجود فنونا — من جمال .. لكل قلب شكور
ايه دوكان .. حان وقت رجوعى — فاعذرينى .. وسامحى تقصيرى
واذكرينى كما سأذكر يوما — مر بى فيك مثل حلم قصير
ولأودع هذا الجمال وارجع — لحياتى .. بين الزحام الكبير



اعدها : ابو نزار

ما من ليلة يهدى الى فيها عروس انا لها محب ، او ابشر فيها بغلام احب الى من ليلة شـــديدة الجليد فى سرية من المهاجرين اصبح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد .

خالد بن الوليد

فى الجاهلية الاولى

فى الجاهلية الاولى كانت القبـائل المنهزمة تدع الملذات التى الفتها حتى تدرك النصر ، فاذا نالت ثأرها ، ومحت عارها ، عادت الى ملذاتها وشاعرها يقول :

فســـاغ لى الشراب وكنت قبـلا اكاد اغص بالمـــــاء الفــرات

حقيقة اغرب من الخيال

قال الواقدى : حضر العيد وكنت فى ضائقة شديدة ، فقالت امراتى ، اما نحن فنصبر ، واما صبياننا فكيف نعمل فى كســـوتهم . قلت صبرا وكان لى صديقان ، فكتبت الى احدهما اسأله العون والمساعدة ، فوجه الى كيسـا مختوما فيه الف درهم ، فما استقر فى يدى حتى بعث الى صـــديقى الثانى يطلب منى العون والتوسعة ، فأرسلت اليه الكيس بخاتمه ثم اخبرت امراتى بما فعلت ، فاستحسنته ، ولم تعنفنى .

وبعد قليل حضر صديقى الأول ومعه الكيس بخاتمه ، وقال أصدقنى عما فعلت بالكيس الذى بعثت به اليك ، فعرفته الخبر ، فقال انك حين طلبت منى العون لم اكن أملك الا هذا الكيس الذى بعثت به اليك ، وارسلت الى صديقى فلان (الصديق الثانى) أسأله المواساة ، فبعث الى بهذا الكيس الذى ارسلته اليه .

ابو حازم

روى ان سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموى قدم المدينة للزيارة ، وبعث الى ابى حازم ، فلما دخل عليه قال : تـــكلم يا ابا حازم .. قال : نعم يا أمير المؤمنين اتكلم :

لا تأخذ الأشياء الا من حلها ، ولا تضعها الا فى أهلها .

قال : ومن يقدر على ذلك .

قال : من تقلد من أمر الرعية ما تقلدت .
قال : عظنا يا أبا حازم .
قال : أعلم أن هذا الامر لم يصل اليك الا بموت من قبلك ، وهو خارج من يديك بمثل ما سار اليك .
قال : مالك لا تجيء الينا .
قال : ما أصنع بالمجيء اليك يا أمير المؤمنين .. ان ادنيتني فتنتني ، وان اقصيتني أخزيتني ، وليس عندك ما ارجوك له ، وليس عندى ما اخافك عليه .
قال : فادفع الينا حاجتك .
قال : قد دفعتها الى من هو اقدر منك عليها ، فما أعطاني منها قبلت ، وما منعني منها رضيت .

منهج حياة

اكره الظهور ، وامقت الدعوى ، واجتنب الفضـــول ، اعمل في صمت ، وأمشي في قصد وهذه الخلال قد تعوق عن الوصـــــول في عصر كهذا العصر ، اعماله تظاهر ، واقواله هتاف ووسائله اعلان ، وغاياته شــهوة ، ولكن الذين يندفعون الى الأمام بهذه الدوافع لا يلبثون ان يفقدوا الأجنحة المصنوعة والمحركات المستعارة .

حكيم

في محيط الاسرة

في شعوب اسلامية كثيرة لا حرج من تأخير الزواج وتطويل امر الفوضى الجنسية التي تسبقه حتى يمكن اعطاء مهر باهظ ، ودلالة هذا السلوك أن رعاية التقاليد الموروثة ، والوجاهات المنشــودة ، احظى لدى الناس من رعاية الدين وابتغاء مرضاة الله . وفي الحديث «اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»

***

ان الزواج وحده هو الحل الأول والاخير للمشــكلة الجنسية ، وهو انبل صلة عرفتها الانســانية لتكوين الاسرة وتربية الأولاد في جو زكي طهور . والله يقول : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

***

ان المراة المطروحة وراء سجن من الجهل والعمى يموت معها نصف الأمة ، ويمرض النصف الأخير .
والمراة المتروكة للغى والهوى تضطرب معها الأمة كلها ، ويلعب بزمامهم الشيطان .

الأيدي الثلاثة

يد بيضاء ، ويد خضراء ، ويد سوداء ، فاليد البيضاء هي الابتداء بالمعروف واليد الخضراء هي المكافأة على المعروف ، واليد السوداء هي المن بالمعروف .

خلق السيادة

نظر المامون يوما الى ابنه العبـاس واخيه المعتصم ، فراى ابنه العباس يتخذ المصانع ، ويبني الضياع ، والمعتصم يمتلك الرجال ، فقال في المعتصم :

يبني الرجال وغـــيره يبني القرى   شــــتان بين قرى وبين رجـــال
قلق بـكثرة ماله وضــــياعه   حتى يفــرقه على الأبطـــال



للاستاذ : احمد حسن قضاة ــ الأردن

نموذج من النماذج الطيبة ، وصحابى عظيم من أولئك الصحابة البررة ، الذين لاقوا الكثير من العنت والاضطهاد فى سبيل العقيدة والثبات على المبــدا . . . أنه بلال بن رباح رضى ألله تعالى عنه .

نشــاته :

ولد بلال من أبوين حبشيين ، كان قد جىء بهما من الحبشة وبيعا فــى سوق الرقيق بمكة . فنشأ بلال فى قبيلة بنى جمح عبدا لأحد أشرافها هو امية ابن خلف .

وكان بلال عبدا مدللا لدى سيده . فهو مطيع وامين ، حتى ان امية كثيرا ما كان يسيره بقوافل التجارة للقبيلة من مكة الى الشام ، ويخصه مرارا كثيرة بمسئولية القافلة نظرا لأمانته ومهارته .

وعرف عن بلال أنه كان ذا صوت ندى ، يغنى لشباب مكــة فى أكثــر الأوقات ، ويطربهم بحلو نغماته . وكان أكثر ما يتجلى غناؤه ، فى كل مــرة

يذهب بها مع قوافل التجارة الى الشام ، فينساب غناؤه عندئذ عذبا ، وينسكب فى آذان القوم الذين يرافقون القافلة ، فينعش أفئدتهم ، وينسيهم ما يكونون فيه من تعب الطريق ووعثاء السفر ..

اول الغيث :

وفى احدى سفراته الى الشام كان ابو بكر رضى الله تعالى عنه احد رفاقه فيها . فلما نفقت تجارة قريش ، وكادت القوافل تعود الى مكة ، لمح بلال أبا بكر يجد فى السير فلحقه وسأله . « الى اين يا أبا بكر ؟ » فقال أبو بكر . « الى راهب أستفسر منه عن رؤيا رأيتها » . ودعاه أبو بكر ليذهب معه ، فانطلقا حتى أتيا الراهب . وهناك قال الراهب لأبى بكر : « ان صدق الله رؤياك فانه يبعث نبى من قومك ، تكون أنت وزيره فى حياته وخليفته بعد مماته » . فسأل بلال . « وما النبى ؟ » فقال الراهب . « هو رسول من عند الله ، يرسله الله خالق السموات والأرض هدى للناس ، ويأمر ذلك النبى الناس بعبادة الله وحده ، ووصل الأرحام ، وتحطيم الأصنام » .

احدث قول الراهب وقعا عميقا فى نفس بلال ، وراح يتساءل . لم يعبد الأصنام ، ؟ فألفى نفسه لا يدرى . اذ شب بين قوم رآهم يعبدونها ، فعبدها مثلهم . ونشبت معركة بينه وبين نفسه انجلت عن تزعزع ايمانه بالأصنام ، والتشكك فى عقيدته .

النبى المنتظر :

وفى احدى الليالى ، والناس فى مكة نيام ، اذا بصوت خافت من جانب حجرة بلال يهتف به ، فيفيق مشدوها ليجد ابا بكر يزف اليه بشرى ظهور نبى هذه الأمة ، محمد بن عبد الله ، يدعو الناس الى التحرر من عبودية الأصنام الى عبادة الله خالق كل شىء ، والى المساواة بين السادة والعبيد ، والى الاخاء بين الناس جميعا ، فيطرق بلال مفكرا ، فيقنعه أبو بكر باعتناق هذا الدين معددا فضائله ومزاياه ، فلا يلبث هذا ان يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فيسر أبو بكر لذلك ، ويذهب به فى اليوم التالى سرا الى محمد ، فيبايع بلال النبى وهو لا يدرى انه سيعذب فى هذا الدين ، ويمتحن فيه امتحانا شديدا ، يجعله سيد الممتحنين ، وامام المعذبين الصابرين ...

العذاب :

واصبح يختلف الى الرسول الكريم ، يتلقى منه تعاليم الدين الجديد . وقد اثرت فيه روح محمد القوية ، فحولته من عبد ذليل ، الى انسان ذى مثل عليا .

ووشى به الواشون الى مولاه ، فوقف امية يوما على باب حجرة بلال يسترق السمع ، ليتأكد من الأمر ، فقرع اذنيه صوت بلال ، وهو يترنم بآيات الله البينات . وأرهف اذنيه فسمع كلاما ما سمع مثله من قبل قط ، فما هو

بالشعر ، وما هو بالسجع . فغمغم فى نفسه : هذا ما سحر العبد ، هذا قرآن محمد . وهنا ثار غضبه ، وضرب الباب بشدة ، ثم اندفع الى الداخل ، فلم يجزع بلال ، ولم يرتجف ، بل حلت فى قلبه السكينة ، وانتظر مصيره المحتوم .

قال له أمية : ما كنت تقرأ يا بلال ؟ فقال . كنت اقرأ كلام الله . قال : أى اله ؟ فقال : رب السموات والأرض وما بينهما سبحانه . قال : أكفرت بآلهتنا ، واتبعت رجلا مسحورا ؟ فقال . ما كفرت ، بل هدانى الله الى صراط مستقيم . فثارت ثائرة أمية ، ولطمه وصاح به : متى كان للعبد أن يتبع هواه ، أو يتخذ له الها غير آلهة سادته ؟ فقال بلال بلهجة الواثق : انى أعرف جيداً أنى عبدك ، ولكن اعلم يا مولاى ان ما تملك منى هو جسدى فقط ، اما عقلى ، أما ما يكنه صدرى ، فهذا جميعه لى وحدى ، ولا شأن لك به .

احد .. أحد :

وبذل امية ما وسعه ليرد هذا الصابىء — فى نظره — عن دينه الجديد ، وهدد وتوعد ، ولكن دون جدوى . واسرع الى الباب هائجا يصيح بالخدم : انضوا عن هذا الكافر ثيابه ، وألبسوه الأسمال البالية ، وقيدوه . فالتفت بلال الى امية ، وقال : ها هى ذى ثيابكم الغالية ، فلا حاجة لى فيها . وخلع ثيابه ولبس الأسمال ، ثم قيدوه ، ووقف ينتظر العذاب بقلب ثابت ، ونفس راضية ، مما زاد — ذلك من غيظ امية ، فتقدم منه مغضبا ، ووضع فى عنقه حبلا غليظا ، ثم جذب الحبل جذبة شديدة ، آلمت بلالا ، ولكنه لم يتكلم . ونادى أمية صبيان القبيلة ، وأمرهم أن يعدوا به فى شوارع مكة ، ليكون عبرة للصابئين ، فخرجوا به يتصايحون ، وهو يردد . أحد .. أحد . ونال التعب آخر الأمر من الصبيان ، فعادوا به الى الدار ، وهو اقوى على الحق مما كان ، فقد هان لديه كل شىء بعد ان ذاق حلاوة الايمان ..

وعاد اليه امية ، راجيا أن يكون ما صادفه فى يومه من بلاء ، رادعا له . فأقبل عليه يلاطفه : عسى أن تكون قد ثبت الى رشدك يا بلال ؟ فيجيبه . احد .. أحد . وكلما تكلم معه أمية بشىء ، يجيبه بشعاره الخالد : أحد . أحد . فركله هذا ركلة شديدة واتجه صوب الباب ، فصاحبه بلال .. « احد .. أحد . والله لو اعلم كلمة هى أغيظ لكم منها لقلتها » .

وتتابع العذاب عليه ، وهو صامد ثابت ، لا تضعف له قناة ، ولا يلين له جانب . وقد تفنن امية فى تعذيبه ، فقيده يوما واضجعه على الرمال ، وتركه للشمس يلفحه حرها ، ثم أمر بوضع صخرة كبيرة فوق صدره ، فازداد الكرب على بلال ، ولكنه ازداد مع ذلك صلابة وعنادا .

ابو بكر يشتريه ويعتقه :

وسمع ابو بكر — وكان جالسا عند النبى — ما بلغ بصاحبه من العذاب ، فخرج مسرعا الى المكان الذى يعذب فيه ، وصاح مغضبا بامية . الى متى

تعذب هذا العبد ؟ فيجيبه أمية : انه يعذب بسببك يا ابن ابى قحافة ، فما افسده سواك . وحدث رد وأخذ فى القول بين الرجلين قال له أبو بكر اخيرا . انى على استعدادا لشرائه . فقبل امية ـ تخلصا منه ـ واشتراه ابو بكر ، ثم ازاح الصخرة عن صدره ، وانطلق به الى الرسول . وفى الطريق التفت بلال الى ابى بكر وقال « ان كنت انما اشتريتنى لنفسك فأمسكنى ، وان كنت انما اشتريتنى لله فدعنى وعمل الله » فأطلق أبو بكر سراحه .

راحت قريش تطارد المسلمين وتفتن فى ايقاع الأذى بهم ، وزال ما كان فيه بلال من نعيم عند أمية ، وأقبل بدلا منه التشرد والجوع ، فما نال هذا التبدل من نفسه شيئا ، بل زادها صفاء وصقلا ..

الحنين الى الوطن :

ولما هاجر المسلمون سرا من مكة الى المدينة ، بعد ان ضاعفت قريش اذاها لهم ، هاجر بلال مع من هاجر ، تاركا وراءه مكة الحبيبة .. مكة التى نشأ فيها ، ودرج فى رحابها ، وتربطه بها ذكريات عزيزة عليه ، وان لم تكن جميلة كلها بسبب ما لقى على أرضها من عذاب . ثم لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة ، كان الوباء منتشرا بها ، فأخذت الحمى كثيرا من المسلمين . وكان بلال كلما أقلعت عنه الحمى فترة ، ينتقل به خياله من يثرب الى مكة ، فتجيش نفسه بالحنين ، فيرفع عقيرته ينشد بصوته العذب الحنون .

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة   بواد وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة   وهل يبدون لى شامة وطفيل (١)

ثم يقول : اللهم العن شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وامية بن خلف ، كما اخرجونا من مكة .

ولما وصل خبر ذلك الحنين الى سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم احبب الينا المدينة حبنا مكة أو اشد » .

مؤذن الرسول :

وعندما اهتدى المسلمون الى ما يدعوهم الى الصلاة من اذان كان قد اسند الى بلال بايعاز من الرسول ـ امر الأذان ، لعذوبة صوته كما قدمنا ، فكان ينساب الأذان من حنجرته فى اجواء يثرب ، حلوا نديا ، يسحر القلوب ويخلب الالباب ..

مقتل امية :

وانجلت غزوة بدر الكبرى عن هزيمة المشركين وانتصار المسلمين كما هو معروف ، وقد قتل فيها أكثر سادات قريش وأشرافها ، وفيهم أمية بن خلف مولى بلال . قتله بلال وهو يقول : امية بن خلف لا نجوت ان نجا » .

اين انتم من بلال :

ولما جاء آل هند الخولانية ـ زوج بلال فيما بعد يستمعون رأى رسول الله فى بلال ، بعد ان كاشفهم بحاله لما جاءهم خاطبا . قال لهم رسول

---

(١) اسماء اماكن وجبال بمكة وما حولها .

« البقية ص ٨٧ »



مقدمة :

« من دق الطبول ورقص الخيول .. من أزيز الرصاص ومروق الحراب والسهام ، صاغت أوروبا خيالاتها عن الشرق .

ومن الاناء الكبير ، وموقد الحطب ،والطاهى الاسود ، والرجل الابيض موثوق الكتاف ، قدمت اوروبا فكاهاتها ، لتقول ان اهل القارة الافريقية ، لا شىء يبهج زعيمرا غير وجبة دسمة من لحم البشر !

وتجاهل الرجل الأبيض ، فى القارة الاوروبية الصغيرة ، ان كل فكرة تعيش فيه ، وكل علم تعتز به ، انما حمله اليهـا أقوام عاشوا فى افريقية وآسيا ، وعبروا لهـا المضيق الذى يحمل اسم واحد من ابنائهم ـ مضيق طارق ـ وأشعلوا فى ظلام الفكر الأوروبى الف شمعة وشمعة ، حتى خلص هؤلاء البيض من جهالتهم العمياء ، ولـكن شيئا لم يتخلصوا منه بعد ، وهو التعصب الأسود ضد كل ما هو شرقى .

والحرب الدائرة الآن ، فى فلسطين ، وما حولها ، هى قمة هـــذا التعصب ، تعود بالانســان العربى الى صراعه الاكبر منذ عشرة قرون ضــد ملايين الأوروبيين الذين رفعوا شعار الصليب ظلما للصليب وتعاليم صاحبه عليه السلام ، لكى تخوض خيولهم الى بطونها فى دماء المسلمين ، ولكى يشقوا طريقهم الى مكة المكرمة والمدينة المنورة !! ولكنهم خابوا بالامس ، وارتد سعيهم خذلانا وعــارا ، وانتقلت المعــركة على أيدى العثمــانيين الى عقر دارهم حتى نهــر الدانوب ..

وهذا الانســان العربى .. وهــذا العالم الاسلامى ، ان يترك المغتصب يفوز اليوم ، بما عجز عن الفوز به بالامس .. فالطــاقات تتجمع ، والمعــركة توشك أن تتجدد ..

ولنا فى معركة الجزائر الباسلة اسوة .. وهذه صفحة من صفحات نضالها تضىء باروع المعانى .. »



« الفصل الاول »

المكان : منطقة صخرية من جبال الأطلس ، تعلوها أعلى قمم هذه الجبال ، التى اسمها « لالا .. خديجة » اى السيدة خديجة .

الأشخاص : الرجال : رزق البشير — عبدون — بن مهدى العربى — آخرون ..
النساء : زهرة — رضا — امينة ..

(**الريح :** يسمع صوتها تزار بين قمم الأطلس .. ثم تهدأ وتسكن تدريجيا) ..

رزق البشير : (هامسا فى اناة) يا شباب .. امسكوا حبالكم جيدا .. خمس دقائق باقية على الفجر . ونصل الى قمة « لالا .. خديجة » .

الرجال : « لالا .. خديجة » .. ويتردد النغم .

الصدي : « لالا .. خديجة) ..

« لالا .. خديجة » .. (يخفت الصوت من بعيد) « لالا .. خديجة » ..

اصوات : (تسمع انفاس الرجال .. ووقع اقدامهم) .. هوب .. صوت بنادق .. وصناديق توضع على الأرض .

رزق البشير : هيا يا شباب .. نحمل صناديق السلاح والذخيرة داخل المخبأ قبل ان تكشف الطائرات مكاننا ..

(تسمع حركة نقل ، وهمهمة اصوات) .

حسنا .. والآن .. هيا نصلى الفجر (صمت قليل) الله اكبر .

صوت : (موسيقى مثل دقات الساعة)

الجميع : السلام عليكم ورحمة الله ..

رزق البشير : يا شباب انا !

تجاوزت الستين ، ولكنى أحس انى فى عافية ابن العشرين .. فهذا الجبل الجبل (الجرجورة) كأنه جزء منى ، أو أنا جزء منه .. عال .. طاهر .. قوى .. يرفع رأسه دائما .

عبدون : استرح قليلا يا عمى رزق ، فان لدى أسئلة عن هذا الجبل ، من جبال الأطلس .. ولماذا سميت قمته « لالا .. خديجة » .

رزق : انت يا عبدون يجب ان تستريح .. فستنزل بعد الظهر الى نصف الجبل ، تنتظر اخواتنا المجاهدات أمينة وزهرة ورضا وتحضر لنا منهن التموين ، وشقيقتك أمينة تحضر لنا معها تعليمات القيادة ..

بن مهدى : هواء الجبل النقى ، ملأ قلوبنا نشاطا ، وعيوننا يقظة .. وأحاديثك معنا عن كفاحنا وذكريات ماضينا ، تملأ نفوسنا عزما ..

رزق : حسنا يا اخوانى .. قصة « لالا .. خديجة » سمعتها من أستاذى عبد الحميد بن باديس ، طيب الله ذكره ..

الجميع : رحمة الله عليه .

رزق : نعم .. انه شيخنا الذى جدد لنا شباب الايمان ، فى جمعية العلماء التى انشأها ونماها ، ودفع حياته ثمنا لها ، لكنه ترك وراءه رجالا مؤمنين بداعى الاسلام .. قال لنا أن العرب عندما وصلوا الى هذه البلاد ، صعدوا الى هذه القمة ، ورفعوا فوقها راية الاسلام ، وكانت راية سيدى عقبة بن نافع ، قيل انها كانت من رايات سيد الخلق سيدنا محمد عليه أزكى صلاة وتسليم .

الجميع : صلى الله عليه وسلم

رزق : ونصب هؤلاء المجاهدون الأول رايتهم فى هذا المكان ، واطلقوا عليه اسم أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها .

عبدون : أى ان «لالا .. خديجة» هى سيدتنا خديجة .

رزق : نعم .

عبدون : يا له من جهد ان يصعد هؤلاء البواسل الى هذا المكان .

رزق : ولقد صعدوا أيضا الى جبال الألب بعد ذلك ، وأقاموا فيها ثمانين سنة كانوا سادتها ، وقمم الألب أعلى من هذه القمة وتكسوها الثلوج ..

بن مهدى : ان أختى أمينة دائما تدرس لتلميذاتها سيرة السيدة خديجة ، وتقول انها بصبرها وايمانها تلهم بنات الجزائر ، ويكفى انها وهى فى الستين احتملت حصار قريش ثلاث سنين فى شعب الجبل ..

رزق : نحن دائما نكتب تاريخ الرجال .. اما دور نسائنا من أجل الحياة والحق ، فطالما نسيناه .. ولكن الذين سبقونا لم ينسوه أبدا .

عبدون : نريد أن نسمع أيضا قصة سيدى عقبة .

رزق : سأحكى لكم قصته ، وقصة نساء الأطلس ، قبل الاسلام ودورهم فى كفاح غزو الرومان .. والآن نستريح قليلا .

(يسمع صوت الريح ، تنتقل نغمة : (لا لا خديجة وصداها) .

— ٢ —

صوت : (صوت صفارة يأتى من بعيد)

صوت نسائى : زهرة .. زهرة .. هل سمعت صوتا !

زهرة : نعم يا أمينة .. هـــذه صفارة اخيك عبدون .. أختنا رضا تستطيع ان تقلد صفارته وترد عليه (تنـــادى) : رضا رضا .. اين انت .. كانت وراءنا من دقيقة .

امينة : انتظرى يا زهرة مع هذه الأشـــياء لأعود باحثة عن رضا .. (فترة صمت) رضا .. رضا .. يا ســـلام عليك يا رضا .. لماذا لا تردين ؟ هل تعبت ؟

رضـــا : (فى همس) هس .. س .. س .. هذا زوج من فراخ الحمام الصغير ينتظر امه .

امينة : وهل انت ام الحمـــام ؟ حتى تجلسى معه هكذا ؟

رضـــا : أيوه انه يرقد بين يدى مطمئنا ، بعد أن اعطيته فتات طعام كان معى .

امينة : حسنا .. اتركيه الآن ، فامينة وحـــدها .. وعبدون فى طريقه .

رضا : نفسى اصـــير مثل هذا الحمام الطاير .. فى حرية .. فى أمان .. أغنى .. وأعبد الرحمن .. (تقلد صوت الحمام فى نغمة قريبة من لفظ الرحمن) .. ها انذا اعيده الى عشه حتى لا اغضب امه .

امينة : لقد قدموا يبحثون عنا ..

عبدون : انا عارف زميلتنا رضا ، انها تجمع زهورا جبلية .

امينة : تقريبا .. انها مثل الغزال الشارد .. تعيش فى شـــعرها ، وأحلامها ..

رضا : (تغنى) ..

المجموعة :

هيا بنا هيـــا بنا
نزف مجـــد امنا
هيـــا نوادع المنى
بشـــــدونا وحبنا
ونملأ الدنيـــا هنا
لالا خديجـــــة

الصدى : لالا ..

المجموعة :

هيا بنا الى الجبل
نرقى الوهاد والقمم
وعند اشراق الأمل
هيـــا نثبت العلم
نقيم ايدى امنــــا
لالا خديجــــــة

الصدى : لالا خديجة ..

المجموعة :

هيا نصافح الســـحاب ..
والجـــليد .. والمطـــر
وبالزهـــور والربيـــع ..
والنجــــوم .. والقمــر
نقيم أيدى امنـــا
لالا خديجـــــة

الصدى : لالا .. (١)

عبدون : يا جماعة .. ما احلى اصواتكن .. يا ليت اخواننا هنـــاك فى القمة كانوا معنا الآن .

رضا : نحن قررنا ..

أمينة : نعم قررنا أن نصـــعد الى القمة .. فمعنا علم جيش التحرير ، نسلمه لكم فى المكان الذى سيرفع فيه يوم النصر ، وهو قريب .

رضا : (فى شدو) نعم نرفعه .. فوق .. فوق .. فوق ..

عبدون : هـــذا غير معقول .. تعليمات رزق البشير انى آخذ منكن التموين هنا .. وتعدن ،

امينة : مرة واحدة نطلع الى القمة .. نشـــعر اننا اقرب الى ربنا .. والى ارواح شهدائنا ..

زهرة : ان لم تأخذنا .. لن نبرح هذا المكان .

---

(١) الشعر من نظم الشاعر القاهرى احمد سويلم .

عبدون : أنا اعلم ان الرحلة خطرة .. لكننا نسينا الخطر من زمن .

رضا : (تغنى : فوق .. فوق .. فوق) .

— ٢ —

رزق البشير : انت يا عبدون احضرت الطعام ، ومن عمل الطعام ؟

عبدون : كان هناك تصميم .. وانت تعلم امينة ، وفرقتها !

البشير : اهلا بهن على كل حال .

بن مهدى : انت وعدتنا بقصتين عن نساء بلادنا أيام الرومان ، وعن سيدى عقبة .

البنات : نعم . نريد ان نسمع !

البشير : حدث مرة ايام حروب الرومان ضدنا ، وكان هذا قبل الاسلام بقرن ونصف قرن ، أن ارسلوا جيوشا جرارة ، للاستيلاء على أكبر مدننا ، وهى قرطاجنة .

رضا : أيام هانيبال ، البطل العظيم ؟

البشير : تأملى يا بنتى يا رضا ، ننطق اسم واحد من ابطالنا مثل ما يكتبه وينطقه الأعاجم .. هذا البطل ، اصله من الشام ، واسمه (حن بعل) يعنى الاله القديم بعل عطف عليه .

زهرة : غريبة .. بطلنا هذا من الشام .

البشير : جدودنا القدامى ، واصولنا كلها من الشام .. كان فيه مملكة اسمها صور ، وحدثت مظالم اضطرت اهلها للهجرة فجاءوا الى هنا .. وحتى (حن بعل) عندما خسر آخر معاركه مع روما ، رحل الى ارض أجداده ، ومات ودفن فى انطاكيه .

عبدون : يعنى نحن عرب من الأزل .

البشير : نعم . وبعد (حن بعل) ابنه استمر فى الحرب ، ورد الرومان عن قرطاجنة ، وقد مات فى هذه المعارك أكثر من نصف مليون قتيل .. وفى احدى المعارك بليت الحبال التى يتسلق بها المغاربة للحصول على تموين المدافعين ، ولم يجدوا حبالا مطلقا نتيجة الحصار .

امينة : وكيف تصرفوا اذن ؟

البشير : جاء دور النساء لانقاذ الموقف ، اذ قص النساء شعورهن ، وجدلن منها حبالا ، وكانت هذه تضحية عظيمة ، فان الشعر الطويل كان زينة نساء ذلك الزمان .. اليس كذلك يا رضا ..

امينة : رضا غابت فى خيالها الشاعرى .

رضا : (تغنى .. وموسيقى اشبه بحركة المقصات .. واصداء المعركة) ..

صوت :

لا وقت للعطر
والسحر والزهر

اصوات :

جدتم بما يغلو
بالروح .. والعمر
ونحن نهديكم
جدائل الشعر

صوت :

حبائلا طالت
تضيق بالصبر
شدوا بها الشما
من مفرق الفجر
واسمعوا الدنيا
تكبيرة النصر

البشير : ما اكثر تضحيات بلادنا ضد أوربا .. معركتنا الآن ضد فرنسا ليست الا حلقة من سلسلة معارك استمرت الفين من السنين .

امينة : وقصة سيدى عقبة يا عم رزق .

البشير : حسنا . اسمعوا يا

اولادى : لما جاء العرب ، رحب بهم كثير من اهلها المغاربة لاتحاد الاصول كما ذكرنا ، ولكن البلاد واسعة ، وكانت الحملات لها محدودة العدد ، ومعاركها ضارية جدا بسبب تغلغل الرومان فيها .. ومن هذه المعارك ما يوازى ما قام به خالد بن الوليد ، وسعد بن ابى وقاص وعمرو بن العاص .. وكانت مصر هى مركز الغزو كلما سمحت ظروف الحكم فى دمشق .

امينة : سيدى عقبة جاء مرتين الى المغرب .

رزق : نعم فى المرة الاولى بنى مدينة القيروان لتكون عاصمة البلاد بعيدا عن المدن الساحلية ، ولكنه استدعى الى دمشق .. فترك خلفه احد رجاله ، وهو ابو المهاجر .

زهرة : وهل تابع ابو المهاجر الحرب .

رزق : انهمك فى بناء عاصمة جديدة له ، وترك القيروان تنعى من بناها .. وما هى الا فترة من الزمن حتى عاد عقبة ، فقيد أبا المهاجر فى معسكره ، حتى لا يفسد عليه الأمر ، وتابع الغزو حتى وصل الى طنجة ومراكش .

رضا : نعم . انا اعرف انه واجه المحيط الاطلنطى بخيله .

البشير : انه ما تزال صورة شيخنا عبد الحميد بن باديس ماثلة أمامى الآن وهو يردد خطبة عقبة ، وأمواج المحيط تزمجر امامه وهو يقول :

« اللهم انى لم اخرج اليك بطرا .. ولا اشرا

« انك سبحانك لتعلم انما نطلب ان تعبد ولا يشرك بك شىء

« اللهم انا معاندون لدين الكفر ، ومدافعون عن دين الاسلام

« فكن لنا يا ربنا ، ولا تكن علينا يا ذا الجلال والاكرام » .

رضا : لقد تحركت نفسى بشعر يردد اقوال سيدى عقبة .

الجميع : تولى يا شاعرة الجزائر تولى ،

رضا :

ايها الأطلسى ماذا وراءك
آه لو اننى علمت انتهاءك
آه لو كانت الجبال .. لدكت
ولعسكرت بالرمال صفاءك
ولأجريت بالدماء الرواسى
ولبددت بالهدى ظلماءك

امينة : يا عمى البشير .. وماذا حدث لسيدى عقبة ، بعد ذلك .

البشير : عاد جيشه منصورا ، وفى ركابه كسيلة أمير البربر الذى تظاهر بالاسلام .

رضا : وما اصل البربر ؟

البشير : انى احب متساطعتك يا بنتى .. البربر كلمة اطلقها الاغريق القدماء على اجدادنا ، لانهم كانوا لا يفهمون لغتنا القديمة .. وليس معناها اننا همج .. ثم اختلط بنا نحوا من ثمانين الفا من الوندال النازحين من المانيا الى اسبانيا الى المغرب .

امينة : ولكن الفرنسيين حاولوا ان يبحثوا عن أصول قديمة للغة البربر .

البشير : ووجدوا الكثير من الفاظها أصله عربى .

زهرة : وماذا حدث لسيدى عقبة ؟

البشير : عاد منصورا ، وقرب القيروان ، أمر الجيش أن يسبقه ، وظل هو فى المؤخرة مع ثلثمائة من رجاله ، ومنهم ابو المهاجر وكسيلة .. ولكن كسيلة هذا هرب ، وجمع بسرعة قوة من أنصاره ، وحاصر معسكر عقبة .. ففك قيد ابى المهاجر ، وأوعز له أن يتسلل

ويهرب ، ليدبر الامر في القيروان ، وهنا حدث حادث من أروع صور البطولة .

رضا : (في لهفة) ماذا حدث ؟

البشير : رفض ابو المهاجر ، ان ينجو بنفسه ، وعزم على أميره ان ينجو هو ، اذ كيف يترك ميدان الفداء والاستشهاد ليصبح اميرا .. ان مركز الشهادة أعلى واعز من كل ما سواه ..

رضا : هذا عظيم .

البشير : وحارب الاثنان واستشهد الجميع ، وهناك قرب بسكرة توجد أضرحتهم ، وهي كما تعلمون أعظم مزار اسلامي في شمال افريقية كلها .

امينة : عندما تفتح مدارسنا بعد النصر ستكون دروسي عن هذه الامجاد ، ونريد أن نسمع تاريخنا أيام دولتنا العربية ، ودولتنا التركية .

بن المهدى : اننا جئنا هنا نحارب ، لا لنسمع التاريخ .

عبدون : حربنا اليوم ، جزء من تاريخنا القومي .. وكلامنا هذا جزء من حربنا ، وعدة نضالنا وطريقتنا للنصر .

البشير : تمام يا ولدى . انت تعرف مثلنا الجزائرى الذى يقول : « ما ينكر اصله الا البغل » .

صوت : (أزيز طائرة) .

عبدون : هس .. هذا صوت طائرة .. ادخلوا المغارة .. هات الرشاش يا ابن المهدى ، خذ حافة الجبل الشرقية ..

صوت : (الطائرة تقترب) .

رضا : اريد أن ارى اخوانى ، وهم يصطادون العدو في الجو .

صوت : ارجعي يا مجنونة الطيار شافك وشاور عليك .

الطائرة : (تطلق مدفعها الرشاش) .

رضا : (تصاب . وتقول في انين) أضربوا .. أضربوا يا اخواتي .

صوت : (طلقات موجهة نحو الطائرة .. صوت انفجار) .

عبدون : (في فرح) صدناها .. صدناها .

صوت : (ارتطام ضخم في سفح الجبل) .

بن المهدى : (يحضر من مركزه) مالكم ساكتون ؟

رضا : (بصوت ضعيف) الحمد لله .. رايت نصرنا .. رايت عدونا نازل تحت .. تحت .. تحت ..

عبدون — بن المهدى : (في ذعر) رضا اصيبت ..

زهرة : (في صوت باك) يا ليتني كنت المصابة .. رضا مدرسة ، ولازمة لبلدنا اكثر منى .

رضا : (في صوت خافت) .. يا عم البشير .. احكى حكاية بابا عروج .. وخير الدين .. روحى ستكون معكم وتسمع .

البشير : حاضر يا رضا .. يا اعز المجاهدات ..

رضا : انا ذاهبة للشهيدات .. زاهية .. وحسيبة .. ووديدة .. وبهية .. وكلنا ذاهبون عند ام المؤمنين آمنت بربى ونبيى .. وعروبتى ووطنى ..

البشير : استريحى يا بنتى .. ربنا يلطف بك وبنا جميعا .

رضا : اشهد الا اله الا الله .. وان محمدا رسول رسول .. انا ذاهبة (.. لا .. لا .. خديجة .. لا .. لا

الصدى : (يردد) لالا خديجة .. لالا .. خديجة) ..

الله صلى الله عليه وسلم . « أين انتم من بلال ، أين انتم من رجل من اهل الجنة ؟ » .

بعد وفاة الرسول :

وعندما توفى الرسول الكريم عليه السلام ، ترك فى نفوس الناس لوعة واسى . فهذا بلال لا يفتأ بعد وفاته يتذكر حب النبى له وعطفه عليه فيقول . ان فى موته خسارة ، ولكن هذا قضاء الله ، فصبرا جميلا . ثم يأبى أن يؤذن لأحد ـ ما استطاع ـ بعد رسول الله . .

جهاده فى سبيل الله :

دارت المعارك الطاحنة بين الجيوش الاسلامية ، وجيوش الفرس فى العراق وجيوش الروم فى الشام ، فهب المسلمون يتسابقون الى الشهادة ، ولحق بلال بأبى عبيدة فى الشام ، اذ خرج وزوجه من يثرب ، تاركين الأهل والوطن ابتغاء مرضاة الله ، فانضما الى الجيش ، وراحا يزحفان معه صوب بيت المقدس .

واتجه أبو عبيدة الى الجابية ، وصحب بلالا معه ، وجاء عمر فاقبل عليه الناس ، ثم حان وقت الصلاة ، فطلب الناس من عمر ان يأمر بلالا بالأذان . فانطلق صوت بلال الذى طالما سرى فى المدينة على عهد الرسول ، فأهاج الذكريات ، وبكى الحاضرون لذكرى الرسول الحبيب ، وبكى عمر حتى بل لحيته .

فتح القدس :

وفتح المسلمون بيت المقدس ، وراح بلال يجوب المدينة التى أورثهم الله اياها . وتذكر يوم قال لهم النبى . أن الله سيورثهم ملك الفرس والروم ، فقال . صدقت يا رسول الله ، أين من كانوا يكذبونك ليروا اليوم جيوشك المظفرة وهى تكتسح جيوش الفرح والروم ؟ أين من كانوا يسخرون كأمية وابى جهل وشيبة ليروا نصرك المبين ؟؟ »

رؤيا :

ورأى بلال ليلة فى منامه النبى الحبيب يعاتبه ليذهب لزيارته ، فخرج من الشام قاصدا يثرب حيث قبر الرسول عليه السلام ، وهناك وقف أمام القبر هاتفا بصوت تخنقه العبرات . السلام عليك يا رسول الله . ثم مكث بالمدينة ما شاء الله له أن يمكث . وأخيرا قرر العودة الى الشام فاتجه قبل عودته الى اصحابه مودعا باكيا كأنه يودعهم الوداع الأخير . . .

وفاته :

واستأنف بلال حياته فى الشام ، الى أن حضرته الوفاة . ولحق بحبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبصحبه الكرام الذين سبقوه الى الجنة . . رضى الله عنهم أجمعين .



في الزكاة

السؤال :

١ ــ هل يجوز الصرف من الزكاة على مستحقيها قبل وبعــد وجوب استحقاقها ؟

٢ ــ وهل يجوز ان يصرف منها للهيئات الخيرية لاغاثة ومواساة المسلمين المتضررين من الحروب والنكبات ــ ولبناء مساجد ومدارس ومساعدة الدعوة الاسلامية لمقاومة الاحتلال الصهيوني ؟

٣ ــ وهل يجوز ان يصرف منها لمنكوبين مسيحيين ؟

محمد العبد الله ــ الكويت

الاجابة :

١ ــ **بالنسبة لتعجيل الزكاة :** يجوز تعجيل الزكاة واداؤها قبل الحول ولو لعامين فعن الزهرى أنه كان لا يرى بأسـا ان يجعل زكاته قبل الحول وسـئل الحسن عن رجل أخرج زكاة ثلاث سنين ايجزيه . قال يجزيه ، قال الشوكانى والى ذلك ذهب الشافعى واحمد والاحناف . وقال مالك انه لا يجزى حتى يحول الحول واستند الى الاحاديث التى بهـا تعلق الوجوب بالحول . وتسليم ذلك لا يضر من قال بصحة التعجيل لأن الوجوب متعلق بالحول ، فلا نزاع وانمـا النزاع فى الاجزاء قبله ، وسبب الخلاف نشأ عن كون الزكاة هى عبادة أو حق واجب للمساكين ، فمن ذهب الى انها عبادة كالصلاة لم يجز اخراجها قبل الوقت ومن قال أنها حق واجب للمساكين اجاز اخراجها قبل الوقت على جهة التطوع استنادا الى حديث على رضى الله عنه ، ان النبى صلى الله عليه وسلم استسلف صدقة العباس قبل محلها .

٢ ــ بالنسبة للجهات التى تصرف اليها الزكاة :
قال تعــــالى « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليهــا والمؤلفــة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

هناك اشخاص لا يجدون ما يكفيهم ولا يقدرون على تحصيل ما به يكتفون ، وهناك مصالح ضرورية لا بد منها فى اقامة الدولة والدين وقد ورد فى الآية من الافراد . ابن السبيل وهو الشخص الذى انقطع عن بلده واحتاج الى المال ــ ويعتبر كل مسلم تضرر من الحروب والنكبات ممن تجوز صرف الزكاة اليه ــ كما ورد فى الآية أن من الجهات التى تصرف لها الزكاة « وفى سبيل الله » وهذه تشمل سائر المصالح التى هى اساس الدولة واولها الاستعداد الحــــربى بجميع لوازمه من مستشفيات ومعدات كما تشمل انشــاء المســاجد فى الجهات التى لا توجد فيها المساجد الكافية ، وانشاء المدارس والمعاهد ومساعدة الهيئات الاسلامية التى تدعو الى اقامة الدين وشعائره ومقاومة اعداء الدين كاليهــود وهؤلاء ، لا مانع من دفع الزكاة اليهم ، ونقل عن بعض الفقهاء ــ انهم اجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد ، لأن سبيل الله عام فى الكل . وذهب بعض الفقهاء الى انه لا يجوز صرف الزكاة فى بناء مســجد أو مدرســة أو فى حج أو جهاد أو نحو ذلك لأن ذلك تمليك لغير مستحق الزكاة ــ والتمليك ركن للزكاة .

٣ ــ بالنسبة لصرف الزكاة للمنكوبين المسيحيين :

الزكاة المفروضة لا يجوز دفعها لغير المسلم بالاجماع لأن النبى صلى الله عليه وسلم جعلها لفقراء المسلمين فقط فى حديثه لمعاذ حين بعثه الى اليمن وقال له «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم» . واما صدقة الفطر فذهب جمهور الفقهاء الى عدم الجواز وذهب البعض الى جواز دفعها الى غير المسلم واما سائر صدقات التطوع فجمهور الائمة على جواز دفعها لغير المسلم ــ والافضل دفعها الى القريب لما فيه من صلة الرحم .

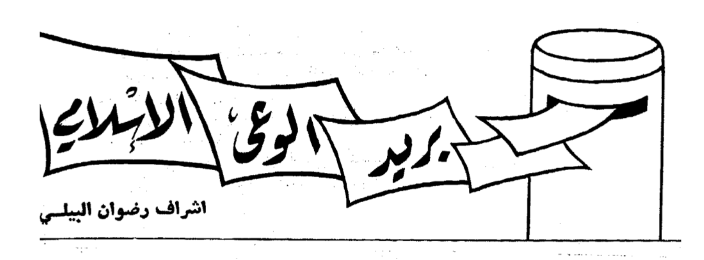
السؤال :

رضعت والدتى من اختها الكبيرة (خالتى)
فهل يجوز لى الزواج من بنت خالتى التى رضعت منها امى ؟

م. ع. ا.
الكويت

الاجابة :

المقرر شرعا انه يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب ، وبرضاع والدتك من اختها الكبيرة صارت اما لها من الرضاع وبالتالى يصير أولاد المرضعة اخوالا لك من الرضاع وخالات ، ولا يجوز لرجل أن يتزوج خالته من النسب او الرضاع .



اشراف رضوان البيلي

التعليم الجامعي

اما فى رسالة من الكاتب الكبير والمؤلف الاسلامى المعروف الاستاذ محمود مهدى استانبولى وجهها الى السادة مديرى الجامعات العربية واساتذتها من اجل تجديد الارادات وشحذ الهمم والسير فى دروب الاصلاح الصحيح لانشاء جيل جديد يتحمل التبعات واعادة المجد الضائع . وقد صدر هذه الرسالة بقوله : ان التعليم الجامعى فى الحالة الراهنة لا يستطيع أن يقوم بهذا الدور القيادى والعمل المصيرى ، ما لم تحدث انقلابا جذريا فى مناهج الجامعة واساليبها وامتحاناتها ، وما لم نعد الى ذاكرتنا أهداف هذا التعليم بصورة واضحة .

وتناولت الرسالة بشىء من التفصيل اهداف التعليم الجامعى الذى ينشد اعداد صفوة من الشباب الطموح الوثاب لقيادة أمتهم فى الميادين المادية والروحية .. وهذا لا يتم الا بتعليم يقوى فى الطلبة الشعور بالتبعية ، ويدفعهم الى الحرية فى البحث والاستقلال فى الرأى . يتعرفون على مشكلات امتهم ووطنهم ، ويساهمون فى وضع الحلول لها بابداع ودراسة وتخطيط .. كل ذلك بموضوعية وشمول خالبين عن التعصب والهوى ، وبروح جامعية بعيدة عن السطحية والغرور .

وتطالب الرسالة بأن تعمل الجامعات على تشجيع البحث العلمى والعمل على تقدم المعارف الانسانية والكشوف العلمية ، وتصنيع التعليم فى مختلف درجاته وخاصة التعليم الجامعى ، كما تركز الرسالة على ضرورة السمو بالقيم الروحية لدى الطالب الجامعى .

ويستثير الواقع المؤلم الذى تعيش فيه الامة العربية صاحب الرسالة ، فيقول فى خاتمتها : آمل أن توقظ هذه النكسة النائم ، وتنبه الوسنان ، وتشحذ الهمم شأن الامم الحية التى تحيى النكسات نفوسها ، وتثير عزائمها ، وقد قال أحد الكتاب : لا شىء يجعلنا عظماء كالالم .

لنذكر الاعداء والاحزاب من يهود وكفرة الذين احاطوا بالعروبة المسلمة من الداخل والخارج فى غزوة الخندق فاستعدت وصبرت وصابرت حتى تم لها النصر .. لنذكر هذه العروبة فى غزوة أحد يوم انقض عليها الاعداء من اعلاها واسفل منها ، فأصيبت بنكسة رهيبة ، فجمعت شملها ، وشحذت ارادتها ، وجددت عزيمتها فعاد لها النصر .

لنذكر الوقفة البطولية للامام ابن تيمية يوم انقذ الشام من غزوة التتار بايقاظه للنفوس اليائسة حتى حقق النصر .

لنذكر فى العصر الحديث ما أصاب فرنسا فى أول الحرب العالمية الثانية ،

وما أصاب المانيا واليابان فى نهايتها من نكسات قاصمة حتى ظن الكثيرون انه لن تقوم لهذه الدول قائمة ولكن سرعان ما غالبت الصعاب ، وصارعت النكبات ، وسخرت بالمصائب ، وقدمت التضحيات حتى أعادت قوتها ، واسترجعت مكانتها بين الدول الكبرى .

ان حياتنا فى سباق بين العلم والجهل .. بين الجهل والعلم .. بين التخطيط والتخليط .. بين المنهج والغرض .. بين المجد والدمار .

ترى أن يكون لنا تربية قوية وتعليم صحيح ، يجعلاننا نسخر من النكبة ، ونضحك للنكبة ، ونبعث أمتنا من جديد . ؟

□□□

مائدة المسيح

ويطلب السيد جعفر ابو سن من القضارف بالسودان ايضاحا عن مائدة عيسى عليه السلام التى ورد ذكرها ، فى القرآن الكريم فيقول فى رسالته : هل نزلت لعيسى من السماء حافلة بألوان الطعام اكل منها حواريوه فعلا ؟

ــ الحديث عن هذه المائدة ورد فى السورة التى سميت بها فى الآيات (١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨) وهى « اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا أعذبه احدا من العالمين » .

والنص القرآنى صريح فى أن الحواريين وهم أصحاب عيسى المخلصون الذين آمنوا بالله ورسوله عيسى ، واشهدوا الله على ايمانهم ــ طلبوا من عيسى أن يسأل الله لهم أن ينزل عليهم مائدة من السماء تسد حاجتهم من الطعام ، وتزيدهم ايمانا واطمئنانا بالمشاهدة بعد ايمانهم بالنظر والفكر والدليل على قدرة الله عز وجل ، وعلى صدق نبيه عيسى ، ويشهدون بهذه الآية عند بنى اسرائيل ، فيؤمن المستعد للايمان منهم .

والنص القرآنى يفيد أن المسيح عليه السلام بعد ان امرهم بتقوى الله ، التى تستوجب عدم اقتراح الآيات عليه سبحانه ، وبعد أن تيقن من صحة تصدهم ، وانهم لا يريدون بهذا تعجيزا ولا تجربة ــ دعا الله تعالى وطلب منه أن ينزل مائدة من السماء ــ ونضع تحت كلمة السماء هنا خطا عريضا ــ تكون عيدا ومتاعا للمؤمنين دون غيرهم ، وآية واضحة على صدق نبوته ورسالته .

فالمائدة التى طلبها الحواريون مائدة حسية ، والمائدة التى سأل عيسى ربه ان ينزلها عليه مائدة حسية .. بقى القول بعد ذلك : هل نزلت هذه المطلوبة فعلا أم لا ؟ .. فذهب بعض المفسرين الى أنها لم تنزل . قال الحسن : لما قيل لهم (فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه احدا من العالمين) خافوا وقالوا : لا حاجة لنا فيها ، فلم تنزل ، ونقل هذا الرأى عن مجاهد ايضا ، ويميل الى الاخذ به كثير لأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى ، وليس هو فى كتابهم ، ولو كانت قد نزلت لتواتر نقله عنهم ، وروى عن بعض المفسرين انها نزلت بالفعل ، وتكلموا فى الوان الطعام الذى كان عليها فقيل خبز وسمك وقيل خبز ولحم ، وقيل من ثمار الجنة ، وقيل انه من نوع ما كان ينزل على بنى اسرائيل فى التيه من المن الذى يجمعونه عن الحجارة وورق الشجر ، واستند القائلون بنزولها الى أن الله قال لهم « انى منزلها عليكم » ووعد الله حق .. والله أعلم .

بأقلام القرّاء

التعدد والطلاق

تناول السيد محمود سليم دوعر ــ الكويت ــ موضوع الزوجات والطلاق فقال :

والتعدد فى الاسلام ، مباح ، فهو ليس واجبا ولم يلزم به المسلم ، ان شاء تزوج بالاربع وان شاء امسك على واحدة .. ولكن كونه مباحا لا يعنى تحريمه من قبل زيد او عمرو .. قال تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النســاء مثنى وثلاث ورباع) .. (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) .

ولكن الذين أعمى الله قلوبهم عن الحقيقة الناصـــعة ، يهاجمون التعدد المباح للمسلم ويقبلون تعدد الخليلات والصاحبات . هاجموا ما يبعث فى المجتمع الستر والخلق الرفيع ، واباحوا الزندقة والفاحشة الحيوانية .

ونذكر أسبابا لا يزيلها الا التعدد ولا يحل مشاكلها الا هذه الشريعة السمحة الطاهرة مثل :

١ ــ الحروب وما تحصده من الرجال حصدا .. حيث تترك زوجات كثيرات بلا أزواج .

٢ ــ مرض الزوجة مرضا لا يسهل على الزوج الجماع .

٣ ــ أن تكون الزوجة عاقرا لا تلد .

٤ ــ الشهوة الجامحة لدى بعض الرجال .

أما الطلاق فكما نعق الناعقون على التعدد ، فقد نعقوا حول الطـــــلاق ايضا ، قالوا : ان الطلاق هدم للأسرة وتشتيت للأولاد وعيب فى هذا العصر ، ولكن الحق يقال ، العيب فى تفكيرهم . قال سبحانه وتعالى : (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) وقال سبحانه (يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) فشرع الله سبحانه الطلاق للمســـلم ، وهل نجبر الزوجين على حياة كلها نكد وعـــدم اطمئنان أو أن يطلقها باحسان ؟ هل نجبر الزوجين على حياة طويلة مرهقة اذا مرضت المرأة مرضا معديا أو أصابها مس من جنون تعذر معه العيش فى بيت واحد ؟ هل نجبر الزوج على ابقاء زوجة زلت ولم ترتدع ؟ وهل نحكم بالسجن المؤبد على الزوجين اذا تعذر الصلح بينهما ؟ هل نبقى الزوجين فى جحيم أبدى لا يطاق او أن الطلاق خير لهما والله العالم بالسرائر وهو علام الغيوب يقول : (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) .

اثر القرآن فى صيانة اللغة

وكتب الأخ عبد الخالق عبد الرحمن من بغداد تحت هذا العنوان يقول :

كان من أثر القرآن فى صيانة اللغة العربية أن اتخذت المساجد دار ثقافة لا تقتصر البحوث فيها على الأمور الدينية بل تتناول اللغة والأخبار والشعر ، وقد كانت تقام فى المساجد الاجتماعات العامة وتلقى الخطب ويتقاضى الناس ويتعلمون مختلف العلوم ويشهدون مجالس الدرس والوعظ ، وكتب الأدب وأسفار التاريخ مملوءة بحوادث كبار الفقهاء والعلماء والأدباء حيث كانوا يعقدون حلقاتهم فى أروقة المساجد ، فحلقة للعلوم الدينية ، واخرى للعلوم اللسانية ، وثالثة للكلام والمناظرة ، وغيرها للشعر والأدب ، وكانت حلقة للمعتزلة فى مسجد المنصور فى بغداد ، وقد أملى الطبرى ، شعر الطرماح فى مسجد عمرو بمصر وتذاكر الكميت وحمادا الراوية فى الشعر وأيام العرب فى مسجد الكوفة .

والمجال كان واسعا للراغبين في ارتشاف مناهل العلم ، والتنقل من حلقة الى اخرى ولهم ملء الحرية فى التعلم والتثقيف .

لقد كان هم العرب تلاوة القرآن وتفسير آياته وفهم اساليبه ودراسة الأحاديث النبوية كتبيان للكتاب ومصدر من مصادر التشريع .

ولم تكن دراسة الأحاديث النبوية كافية لاستجلاء مواضع الغموض والابهام فى القرآن فكان لا بد لهم ان يرجعوا الى اللغة فيتدبروا ما فيها من الأشعار والحكم والأمثال السائرة التى انشدها شعراء العرب أو القاها فصحاؤهم وحكماؤهم فى أيام الجاهلية ليستعينوا بها على فهم ما ورد فى القرآن من الالفاظ الفصيحة .

قال ابن عباس : (اذا قرأتم شيئا من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه فى اشعار العرب لأن الشعر ديوان العرب) .

قرض لم يسدد

ويوجه الشاعر الأستاذ أحمد ابو المجد عيسى المفتش بوزارة التربية بالجمهورية العربية هذه الأبيات الي الذين يقترضون ولا يسددون :

يا صاح انت اخذتها	لتردها من بعد يوم
لكن اراك تسومني	فى نيل حقى شر سوم
خلفتني فى حاجة	قد حملتني كل هم
مثل الذى قلبت سفينته	رياح فى خضم
لو كنت أملك غيرها	ما كان دفعك بالمهم
قد كنت أرجو أن تكو	ن الصون فى الخطب الملم
فغدوت تبعث للصدا	قة من مطالك اى سهم

......

ولقد هززتك بالملا	م فلم يفدنى اى لوم
وذهبت فى وفد اليـ	ـك مؤلف من خير قومى
من بعد وعد سابق	اكدته فى صبح يوم
لأرد حقا ضائعا	من اجله قد طار نومى
فلجأت للصمت العميـ	ـيق ولست بالرجل الأصم
وهضمت حقى اذ قصد	تك يا صديقى اى هضم
ان كنت لا تنوى السدا	د فاننى جربت صومى

قالت صحف العالم

القرآن واحداث الساعة

تحت هذا العنوان كتبت مجلة (رابطة العالم الاسلامي) بمكة تقول :
يا اخي المتسائل : لا بد للمسلمين لكي ينتصروا كما انتصر أسلافنا رضوان الله عليهم اجمعين من امور هامة :

أولا : ان يقاتلوا عدوهم باسم الاسلام لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ولا يقاتلوا اعداء الله باسم عصبية ولا وطنية ولا شجاعة ولا حمية ولا رياء فكل ذلك لغير الله وقد قال تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم » .

ثانيا : من اهم أسباب النصر في القتال : الثبات امام الاعداء وكثرة ذكر الله تعالى اثناء القتال وعدم الفرقة والصبر وعدم الفرار . والاعتماد على الله فلا تتركن النفس لغير الله . فالايمان بالله والتوكل عليه من أهم أسباب النصر في ميادين القتال يقول تعالى مبينا كل ذلك : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » . ولا بد للنصر من اقامة الشعائر الدينية وعدم التفريط فيها كما كان يفعل جنود الاسلام الاولون في ميادين القتال . وقد ذكر الشيخ رشيد رضا رحمه الله في تفسيره المنار الجزء العاشر هذه الكلمة نوردها هنا للعبرة والذكرى : قال : وثبت أنه كان من أسباب انتصار الجيش البلغاري على الجيش التركي في حرب البلقان المشهورة ما كان من ابطال القواد والضباط من الترك للأذان والصلاة من الجيش ، والدعاية التي بثوها فيه من وجوب الحرب للوطن وباسم الوطن ولشرف الوطن ، فلما علموا بهذا اعادوا المؤذنين والائمة بعمائمهم الى كل طابور واقاموا الصلاة فيهم ، وقد روت الجرائد ان العساكر لما سمعت الاذان صارت تبكي بكاء بنشيج عال كان له تأثير عظيم ، وكان تأثير ذلك بعود الكرة على البلغار ا هـ .

فوعد الله لا يتخلف وسنته في العالم لا تتغير ولا تتبدل « ولن تجد لسنة الله تبديلا » فاذا اراد المسلمون العزة والكرامة والتأييد والنصر من الله سبحانه فطريق ذلك بين واضح الاخلاص لله والجهاد في سبيله والاعتماد عليه والالتجاء اليه وازالة الشقاق والفرقة والوقوف صفا واحدا أمام عدونا المشترك . فعلى بركة الله ايها المسلمون وكونوا جنود الله فجند الله لا يغلب « وان جندنا لهم الغالبون » .

معوقات انتشار الاسلام في افريقيا

ونشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تحت هذا العنوان تقول :
وان هناك صراعا عنيفا ، تدور رحاه فوق أرض افريقيا ، وذلك من اجل

جذب القارة الافريقية الى الاسلام او النصرانية ورغم ان الدين الاسلامي يحرز تقدما لا بأس به فى افريقيا ، الا ان هذا التقدم غير مرض بالنسبة لنا ، وذلك بسبب عدم وجود الاهتمام اللازم والكافى بهذا الامر . ولذلك ، فاننا نجد ان عدد أتباع الاسلام فى افريقيا ، اليوم لا يزيد عن (١٥٠) مليونا من اصل (٣٥٠) مليونا وهم سكان افريقيا . وان البعثات التبشيرية ، الغنية بالوسائل المادية والدعائية ، والتى تؤيدها حكوماتها القوية ، ومنظماتها الخيرة والمعطاءة للأموال بسخاء ، هذه البعثات نشيطة جدا فى التبشير بالنصرانية فى افريقيا ، وقد أدى نشاطها هذا الى اعاقة سير الاسلام وانتشاره ؛ وذلك بسبب الهجمات الضارية على الاسلام ، أضف الى ذلك سكوت المسلمين وتقاعسهم عن مواجهة هـذا الخطر الداهم .

وبالامكان معرفة رجحان كفة البعثات التبشيرية فى الوسائل المادية والدعاية من وجود (٣٥٪) من البعثات التبشيرية البروتستانتية فى العالم ، تعمل بنشاط فى افريقيا . كما أن الكاثوليك ليسوا اقل من البروتستانت فى هذا المجال . وان هذه الصورة المفزعة التى تبرز من افريقيا ، وتعرض لنا النقص المؤلم الذى يعانيه الاسلام فى افريقيا ، من حيث ضآلة عدد جماعات الدعوة للاسلام وصغر حجم الامكانيات المرصودة من أجل ذلك . وأن هـذا النقص ، مع ضخامة الامكانيات المضادة ، يشكل تهديدا كبيرا للاسلام والقوى الاسلامية فى افريقيا ، كما يشكل مسؤولية ضخمة لا يجوز التغافل عنها .

الايثـــار والتضحية

ومن مقال بهذا العنوان كتبت صحيفة الاهرام القاهرية تقول :

البذل والايثار والتضحية هى المعايير التى توزن بها انسانية الانسان ويعرف بها حظه من الخير .. ونصيبه من الفضل .

والبذل والايثار والتضحية هى العمد التى تقوم عليها المجتمعات .. وتستظل بظلها الجماعات والامم . فلا تنضح نفس بخير .. الا بوحيها .. ولا يظهر فى الحياة عمل صالح الا من غرسها .. فهى (لحمة) ما بين الانسان واهله من عواطف التواد والتراحم .. وهى (وصلة) ما بين الانسان ومجتمعه .

وقد جلت الامة العربية معالم هذه الصفات .. وأبرزت كرم خصائصها .. بما ظهر فيها — على مر التاريخ — من (فدائية) و (بذل) و (تضحية) .

فللأمة العربية فى جاهليتها واسلامها عدد عديد من الاجواد ، والابطال والفدائيين ممن أصبحوا مضرب المثل فى هذه الصفات .

وتستطيع الامة العربية أن تذكر من هؤلاء الابطال مئات ومئات لا تزال أسماؤهم وأعمالهم تملأ الاسماع .. وتثير مواطن الاعجاب .

لقد كانت حياة الامة العربية فى جاهليتها تدور على هذه الصفات .. فلا مجد لمن لم يأخذ بنصيبه منها .. ولا شرف لمن خذلته وتخلت عنه ..

وجاء الاسلام فزكى هذه الصفات الكريمة ..

وتولاها بأسلوبه الحكيم فصرفها الى الخير .. ورصدها على النفع العام .. واصبحت رصيدا عظيما من القوى التى انتفع بها الاسلام فى نشر رسالته وحماية دولته .. وبناء مجتمعه المثالى الاول الذى لم تعرف الانسانية مجتمعا مثله .

وغنى عن البيان أن بذل النفس فى مواطن البذل هو غاية الغايات فى الايثار والتضحية .. فليس بعد النفس عزيز ولا وراءها شيء يضن به ويحرص عليه .

وفى هذا المجال تظهر خفايا النفوس وتعرف معادن الرجال .. وتتكشف حقائق الافراد ..

أخبار العالم الاسلامي

اعداد : عبد المعطي بيومي

الكـويـت :

● صرح سمو الشيخ جابر الأحمد ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء بأن التزامات الكويت تجاه الدول العربية الشقيقة أمر ضرورى تحتمه المصلحة العربية العليا والمصير المشترك بغض النظر عن تأثير ذلك فى مشاريعنا الانمائية .

● عقد بالكويت مؤتمر وزراء العمل العرب ومؤتمر الصيادلة العرب ، وقد اتخذ كل من المؤتمرين عدة قرارات هامة لدعم التعاون العربى فى مجالى العمل والصيدلة .

● قام وفد لجنة التبرعات الشعبية الكويتية بتسليم التبرعات التى جمعتها اللجنة الى كل من العراق والاردن وسوريا والعربية المتحدة .

● تم اعداد جميع الدراسات لاقامة مصنع كبير للأسمدة بالكويت تساهم الكويت بتكاليفه التى تقدر بمليونى دينار وتساهم فيه العربية المتحدة بتوريد الخامات وتوفير الخبرات الفنية كما اتفق على انشاء خط ملاحى بين البلدين .

● سيقوم سمو أمير البلاد المعظم بزيارة العراق عقب مؤتمر القمة العربى الخامس .

● سيزور معالى الشيخ سعد العبد الله السالم كلا من باريس ولندن والهند على رأس وفد عسكرى وينتظر ان تسفر نتائج هامة .

● سيقوم سمو أمير البلاد المعظم بزيارة لايران فى العاشر من يناير القادم .

● صرح أمير البلاد المعظم لمجلة السياسة الكويتية .. ان على الدول العربية أن تقف صامدة وعلينا أن نضحى مهما كانت التضحية .

الجمهورية العربية المتحدة :

● القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا فى ٢٣ نوفمبر الماضى أوضح فيه أنه لن يكون تصرف فى القضية الفلسطينية الا للشعب الفلسطينى ، وان مرور اسرائيل فى قناة السويس جزء من قضية فلسطين ، وان الحرب ضرورة ان لم تنسحب اسرائيل .

● صدر قرار جمهورى باعادة تنظيم الأزهر وينص على احداث بعض التعديلات على نظم وسنى الدراسة فى القسمين الاعدادى والثانوى .

● أصدر وزير الشباب قرارا بايقاف كل نشاط فى النوادى الرياضية اثناء صلاة الجمعة .

● أهدى المجلس الاعلى للشئون الاسلامية مكتبات اسلامية الى الهيئات والجمعيات والوزارات الدينية فى ٢١ دولة اسلامية .

● وزعت وزارة الأوقاف مبلغ ١٩٠٠ جنيه مصرى مكافآت للذين نجحوا فى حفظ القرآن من الاطفال التى تقل سنهم عن ١٢ سنة .

السعـوديـة :

● يزور جلالة شاه ايران البلاد فى الثانى من فبراير .

● ابلغ جلالة الملك فيصل السيد حسن عباس زكى وزير الاقتصاد المصرى انـه قرر دفـع التزامات المملكة لازالة آثار العدوان بسعر الجنيه الاسترلينى قبل التخفيض .

● تم الاتفاق على انشاء بنك مصرى سعودى لدعم التعاون الاقتصادى بين البلدين .

● ارسلت رابطة العالم الاسـلامى الى المدرسة الدينية الاسلامية فى ممباسا بعض الكتب الدينية مساهمة منها فى نشر الوعى الاسلام .

العـــــراق :

● صدر قرار بعدم اقامة الاحتفالات المعتادة فى عيد الفطر للظروف القائمة .

● اعلن الرئيس عارف عن تشكيل مجلس تشريعى بمثابة البرلمان وجهاز يشرف على اعمـال الحكومـة .

● قررت فرنسا بيع اسلحة للعراق منها ٧٢ طائرة مع منع تصدير الاسلحة الفرنسية لاسرائيل وقد احدث هذا القرار رد فعل فى اسرائيل والكونجرس الامريكى .

● صدر قرار بالغاء الرقابة على الصحف العراقية وانشاء مؤسسة الصحافة العراقية التى ستصدر خمس صحف يومية هى : الجمهورية . الثورة . المواطن . المساء . الاوبزرفر .

● من المنتظر أن يزور الرئيس الفرنسى ديجول العراق فى بداية العام القادم .

● تقرر اقامة معسكر دائم لتدريب الفلسطينيين على اعمال المقاومة والدفاع .

المغرب : سيجتمع مؤتمر القمة العربى الخامس فى مدينة الرباط ابتداء من ١٧ يناير ١٩٦٨ ، وسينضم اليهم السيد قحطان الشعبى رئيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية .

ليبيـا : زار البلاد السيد حسين الشافعى نائب رئيس العربية المتحدة وقد عقد اجتماعات هامة مع جلالة الملك ادريس والسيد البكوشى رئيس الوزراء .

● قامت وكالة المخابرات الامريكية خلال الاسابيع الاخيرة بالتعاون مع المخابرات الاسرائيلية بامداد المتمردين فى جنوب السودان بالسلاح واعدادهم فى بلد مجاور ويتوقع قيام هؤلاء بهجـوم واسع خلال الأسابيع القليلة القادمة .

● قبلت جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية عضوا فى كل من الامم المتحدة وجامعـة الـدول العربية بالاجماع .

الأردن : صرح جلالة الملك حسين بانه سيتجه الى الاتحاد السوفياتى لاستيراد السـلاح اذا استمرت الولايات المتحدة الامريكية فى موقفها من وقف تصدير السلاح للاردن .

● تصاعدت عمليات الفدائيين الفلسطينيين ضد الاحتلال الصهيونى واشتدت هجماتهم على المستعمرات الاسرائيلية خاصة .

● تقوم اسرائيل بطرد المواطنين العرب من الضفة الغربية لنهر الأردن الى الضفة الشرقية وقد قامت الأردن بابلاغ الأمم المتحدة .

● رفضت سوريا استقبال جونار يارنج ممثل الأمم المتحدة فى الشرق الاوسط .

لبنـــان : اعلن فى بيروت مجلس لقيادة الثورة الفلسطينية وقد بعث السيد احمد الشقيرى رئيس منظمة التحرير يهنىء المجلس بوصفه القيادة الامامية لمنظمة التحرير .

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منــا فى تســهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيــاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راســا مع متعهد التوزيع عنــدهم ، وهــذا بيــان بالمتعهديــن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبــار ــ ٧ شارع الصحافــة

مكة المكرمــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص.ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريــاض : مكتبة المدينة ــ ص.ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائــف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص.ب ٢٢

جــــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص. ب : ٢٠٤٣

بغــداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطــر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عــدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المــكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحــدودة

دبــى : ساحل عمان ــ ص.ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مســقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيــة ــ السيد رجا العيســى

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبــة بحــــرى ص.ب ٥

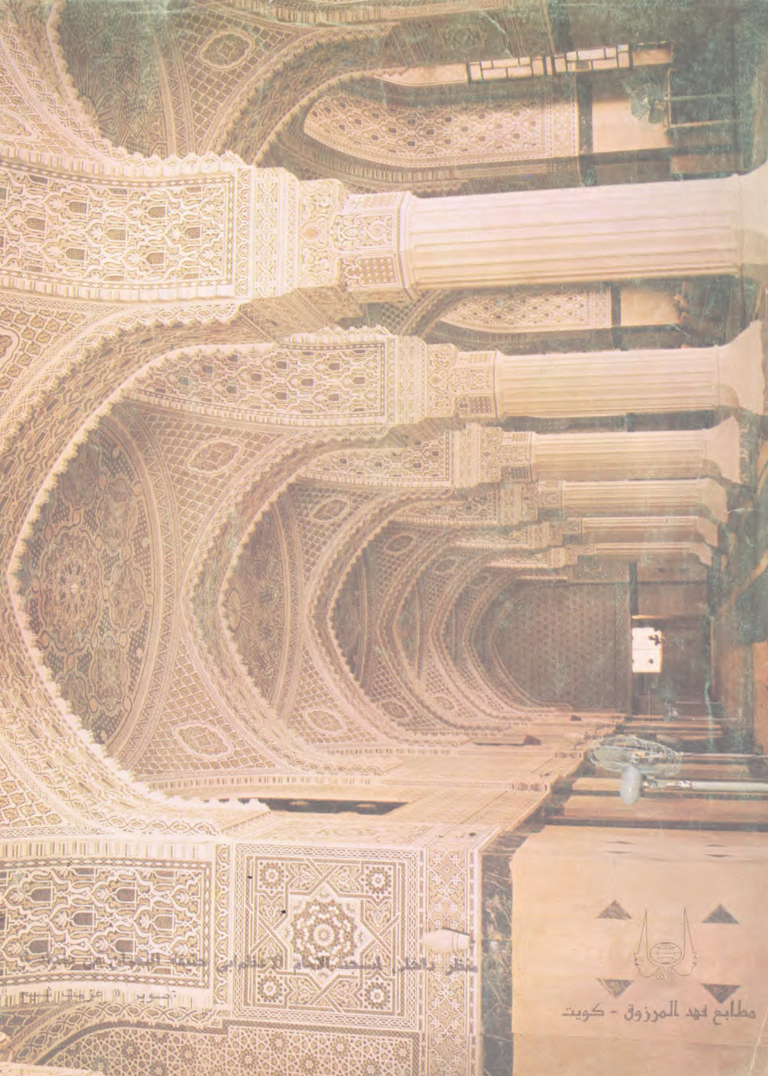
مراكــش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبــيا : طرابلس الغرب ص.ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغــازى : مكتبة الوحدة العربية ص.ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص.ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



منظر داخلي لمسجد الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان في بغداد

تصوير

مطابع فهد المرزوق - كويت